

إميل سيوران

على مُرتفعات اليأس

ترجمة: عبدالوهاب الملوّح

صفحة
7

على مرتفعات اليأس

إميل سيوران



الكتاب

على مرتفعات اليأس

المؤلف

إميل سيوران

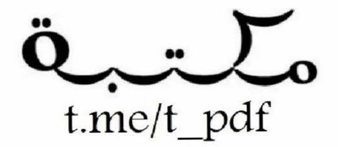
الطبعة الأولى : 2020

الترقيم الدولي:

978-603-91352-5-8

رقم الإيداع:

1441/5059



E-mail: info@page-7.com

Website: www.page-7.com

Tel.: (00966)583210696

العنوان : الجبيل ، شارع مشهور

المملكة العربية السعودية

Sur les cimes du désesespoir

Emil Ciaran

مكتبة | 702
سُر مَن قرأ



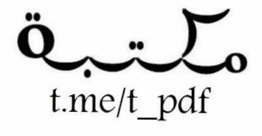
إميل سيوران

ترجمة: عبد الوهاب الملوح



مقدمة المترجم

على دراجته الهوائية يعبر الكائن القيامي العدمَ



قضَّى حياته يَجوب أنحاء أوروبا على دراجته الهوائية يقرأ الكتب ويستلقي بين قبرين في مقبرة ليدخن بشراهة ويقهقه في صمت،إلى أن توفي في أحد الأنهج الفقيرة ذات يوم من سنة 1995.

أعلن تمرده منذ طفولته، هو تمرُّد على الوجود وعلى الحياة عموما ومنذ تلك الطفولة في قرية رازيناري كان صديقا للموت وكان صديقه حفار قبور مقبرة القرية يعطيه الجماجم يلعب بها هو الفتى الذي كانت علاقته سيئة بامه قالت عنه كما ذكر في سيرته «لو كنت أعلم لأجهضتك» ورغم ذلك واصل لهوه المعتاد في ازقة تلك القرية من ترانسيلفانيا مولد أسطورة دراغولا، غير انه سيظل لتلك الكلمة التي قالتها أمه عنه وقعها في داخله وتأثيرها الجوهري على مسار حياته إلى درجة انه سيرى نفسه دائما لعنة ولعنة مخزية للوجود بل للكون عامة. ورغم ما اتسمت به كتاباته من سوداوية ومن كآبة حتى

ان صديقه الشاعر هنري ميشو يسميه «الشمس السوداء للمانخوليا الأدبية» رغم كل هذا ورغم يأسه اللامتناهي واحتقاره للأرض وللطريقة التي يعيش بها الناس عليها سوف يحيا أكثر من تسعين سنة لكن، متحررا من كل الأوهام متمردا على العقود الاجتماعية ضاربا عرض الحائط بكل القيم حتى انه لم يتزوج ولم ينجب أولادا بل اكتفى بصديقة واحدة طول حياته إلى أن وافته المنية. قادما من أشد المناطق وعورة وتعقيدا في الفلسفة بدءا من كانط وصولا الى كيركيغارد عبورا بشوبنهاور وخصوصا نيتشه سوف يعلن سيوران منذ البداية انتماءه إلى الصف المتمرد ضد النسق في الفلسفة، ثم يعلن لاحقا احتقاره للفلسفة وللفلاسفة عموما حتى انه لن يُنهي أطروحة دكتوراه حول بيرجسون مفضلا التجوال بين الحانات أو بين مدن أوروبا على متن دراجته الهوائية التي كان يعتبرها أهم مكسب له في حياته فهو عكس الكثير من المتمردين من نوعه من مثل دافيد ثورو او نيتشه الخ... الذين فضلوا العيش بعيدا عن الآخرين بل هو كان في صميم الضجيج اليومي ذلك انه يرى ان العزلة الحقيقية هي وسط الجموع وذلك أهم اختبار لها .

«على مرتفعات اليأس» هو الكتاب الأول لاميل سيوران وقد ألفه باللغة الرومانية وستأتي بقية كتبه بلغة بلده الى سنة 1947 يشرع في الكتابة باللغة الفرنسية وردا على سؤال أحدهم لمَ تخلى عن لغة وطنه قال:

«لا نقيم في بلد، نقيم في اللغة، الوطن هو اللغة ولا شيء آخر غير ذلك».

إذا فهذا الكتاب هو كتابه الاول ويقول عنه سيوران:

«هذا كتاب بدون أسلوب، كتاب مجنون، يحتوي أهم أفكاري».

وفعلا من يقرأ بقية كتب سيوران فهي تنويعات لما جاء في هذا الكتاب المجنون الذي جاء في سبعين فقرة إضافة لمقدمة سيوران وقد تراوحت هذه الفقرات في حجمها من مجرد ثلاثة أسطر إلى صفحة كاملة ضمَّنها صاحب «دموع وقديسين» مختلف أفكاره حول الوجود والأخلاق والقيم الانسانية متأثرا في ذلك خاصة بنيتشه وغير مستبعد ان يكون قد قرأ للشعراء الملاعين بودلير ورمبو ولرتريامون خاصة انه يعترف بفشله في ترجمة ستيفان دي مالارميه الى الرومانية ومن يتابع المنجز الابداعي الكتابي في أوروبا وفرنسا خاصة سيجد تأثيره على الكثيرين من جورج باتاي وانتونين ارتو وموريس بلانشو ودريدا في مرحلة لاحقة وجماعة الرواية المضادة .

تكشف كتابات سيوران بؤس العالم وعبثيته وعدم قدرة الإنسان المعاصر على فهم هذه العبثية وهو ما أدى إلى تفشي حالات الاكتئاب والمالنخوليا والتوترات العصبية ولقد فشلت الفلسفة وعلم النفس في فهم هذه التحولات في الإنسان وظلت مجرد مقولات متعالية وبالتالي هو يدعو الإنسان المعاصر الى التعامل مع تحولات حالته النفسية بتحولات وعيه بالزمن وذلك من خلال القبض على الأبدية في لحظة

وهي ما يسميها باتاي الديمومه .

«**على مرتفعات اليأس**» كتاب لا يمكن تصنيفه فلا هو بالفلسفي ولا هو بالمقالات في التحليل النفسي، هو، كتابة إبداعية خارج التصنيف شأنه شأن «هكذا تكلم زرادشت» لنيتشه.

سيوران هذا الكائن القيامي على دراجة هوائية يعبر العدم .

أن تكون غنائيا

لمَ لا يمكننا البقاء منغلقِين فينا؟ لمَ نواصلُ التعبير والتمظهر، ساعين إلى إفراغنا من كلّ محتوى، ساعين إلى تنظيم مسار فوضوي ومستعص؟ أليس من الأفضل للخصوبة أن نستسلم لسلاستنا الداخلية، دون أن يتملك بنا هاجس الموضوعية، سنكتفي فقط بالتّلذذ باضطراباتنا، بكلّ اهتياجاتنا الحميمة؟ هكذا سوف تتداخل تجارب متعددة ومختلفة لتولِّد تفاعل خصوبات أفضل، شبيهة بتلاطم أمواج البحر أو بالذروة الموسيقية. أن تكون ممتلئًا بنفسك فذلك لا يعني أنانية، بل بالثراء مقدودا من خلال لا تناهٍ داخلي وتوتر متطرف، وهو ما يعني أن تحيا بكثافة، إلى درجة الإحساس إنك ميت بالحياة. من النادر جدّا امتلاك هذا الإحساس، والأغرب، كم نحن مضطرون أن نحياه بالصرخات. أشعر أنّه يلزمني أن أكون ميّتا بالحياة وأتساءل إن كان هناك معنى من البحث عن تفسير لذلك. حين تختلج الروح في داخلك بتوتر لا متناه، حين يُحيِّن حضورٌ مكتملُ تجاربَ مطمورة، إذ يَفْقِدُ الإيقاع توازنه وتشابهه، وقتها ينتزعك الموت من ذرى الحياة، من دون أن يتملّكك الرّعب الذي

عادة ما يأتي مصحوبا بالوسواس المؤلم. هو إحساس شبيه بشعور عاشقين وهما في قمة السعادة، تنبثق أمامهما وبشكل مباغَت ولكن مشتد، صورة الموت، أو، في لحظات اللايقين، يبرز، في حب وليد، هاجس النهاية أو التّخلي.

قلَّةٌ جدا هم أولئك الذين استطاعوا تحمّل مثل هذي التجارب إلى أقصاها، فمن الخطير جدّا أن تتحمل في داخلك طاقة متفجرة، فقد تأتي في تلك اللحظة التي لن يكون بإمكانك التحكّم فيها.

من امتلاء زائد يولد الانهيار.

هناك حالات وهواجس لن يمكننا أن نحيا معها. ألا يستوجب الخلاص وقتها أن نعترف بها؟

فالاحتفاظ داخل الوعي بالتجارب الفظيعة والهواجس المُرعبة للموت يؤدي مباشرة إلى الخراب. بالحديث عن الموت، نكون قد أنقذنا شيئًا من أنفسنا، بالرغم من أن هناك شيئا وقتها قد انطفأ في الذات. تمثّل الغنائية وثبةَ بعثرةِ الذاتية، فهي تشير إلى أنّ في داخل المرء غليانا غير قابل للانحباس يحتاج إلى التعبير عنه دون توقف. الحاجة إلى التعبير عن هذه الدّواخل أشدّ أهمّية من الغنائية بما هي داخلية، عميقة ومركَّزة. لماذا يصبح الإنسان غنائيًا خلال التألم وأثناء الحب؟ لأنّ هاتين الحالتين، رغم اختلافهما في الطبيعة والتوجه، تنبثقان بشكل ما من أعماق الكائن، من المركز الجوهري للذاتية. نحن غنائيون منذ اللّحظة التي تصبح فيها الحياة بداخل الذات تخفق

وفق إيقاع جوهري. فما نتّصف به من متفرّد ومن خصوصي يكتمل في شكل هو تعبيري لدرجة إنّ المرء يعلو إلى مكانة الكوني. التّجارب الذاتية هي الأبعد كونيًا بما أنها تدرك العمق الأصيل للحياة. يقود الباطن الحقيقي إلى كونيّة لن يعبر إليها أولئك الذين بقوا عند حدود اللّاجوهري وظلت الغنائية بالنسبة إليهم ظاهرة داخلية، نتاج تبلد ذهني، بينما تكشف المنابع الذاتية للغنائية، في الحقيقة، عن نضارة وعمق داخليين أشدّ لفتًا للانتباه .

بعضهم لا يكون غنائيًا إلّا في لحظات مصيرية من حياته؛ البعض الآخر، إلّا في لحظات الاحتضار، حين يحضر كلّ الماضي ويتدفّق كالفيضان. لكن في أغلب الحالات، ينبثق الانفجار الغنائي إثر التّجارب الأساسية، حين يبلغ اهتياج العمق الحميمي للفرد ذروته .

وقتها، وهو سجين الحب، سجين الأرواح المجبولة على الموضوعية، واللاشخصنة، غرباء أمام أنفسهم كما في الوقائع العميقة، يُعبِّرون عن إحساس يوقف تدفّق كلّ المنابع الذاتية. والدّليل على ذلك إنّ كلّ الرّجال تقريبًا يكتبون قصائد حين يصبحون شعراء بما يؤكد إنّ التفكير المجرد لا يكفي للتعبير عن الداخل اللامتناهي؛ وحده المُغنّي الملتبس واللّامنطقي يمكنه أن يمنح الغنائية موضوعية ملائمة.

غير مطلعين على ما نخفيه بداخلنا وما يخفيه العالم، ها نحن مأخوذين بغتة بتجربة الألم ومحمولين إلى جهة معقّدة جدّا بشخصنة

مُدوِّخة. تحقّقُ غنائية الألم تطهيرا داخليًا حيث الندبات ليست مجرّد مظاهر خارجية تخلو من تضمينات عميقة، غير أنّها تساهم في تحديد ماهية الكائن. إنها نشيد الدم، نشيد اللّحم والأعصاب. وبهذا الشكل، أليست كلّ الأمراض لديها تقريبًا فضائل غنائية .

أمّا الذين يظلون موضوعيين في مواجهة المرض فإنما هم الذين لبثوا في جمودهم العاطفي الفضائحي، وهم دائمًا منبع لتعمُّق جوّاني .

لن يصبح المرء غنائيًا فعلًا إلا إثر اضطراب عضويّ عميق. الغنائية الطارئة هي نتاج عوامل خارجيّة تختفي باختفائها. لا وجود لغنائية في غياب بذرة الجنون الداخلي. ومن العلامات الدالة على ذلك، ما يتميّز به المصابون بالذهان، في البداية، من مرحلة غنائية حيث تنهار الحواجز والعوائق تاركة مكانها لسُكْر داخلي هو من أفضل الخصوبات. هكذا يمكن تفسير الانتاجية الشعرية للذّهان في طور الظهور. الجنون: ذروة الغنائية؟ لنقتصر إذا على كتابة مديحه كي نتجنب إعادة كتابة مديح الجنون. الحالة الغنائية أبعد من الأشكال والأنظمة :هي سلاسة، تدفّق داخلي، مزيج في نفس الوقت، كما لو أنه تماثل مثالي، بينَ كلّ عناصر الحياة والروح من أجل ابتكار إيقاع مكثّف وجيد. مقارنة بتلطّف ثقافة مجمّدة، سجينة الأطر والأشكال، مقنعة لكلّ شيء، فالغنائية تعبير بربري: تكمن قيمتها الحقيقية، تحديدًا، في كونها ليست سوى دما، جديّة ولهبًا .

كم إن كل شيء بعيد

أجهل تمامًا لماذا يجبُ فعل شيء مّا هنا على هذه الأرض، لماذا يجب أن يكون لنا أصدقاء وأمنيات، آمال وأحلام. أليس من الأفضل الانسحاب بعيدًا عن العالم، بمنأى عن كلّ ما يصنع صخبه وتعقيداته؟ هكذا نحن ننكر الثّقافة والطموحات، نخسر كلّ شيء دون الظفر بأي شيء في المقابل. لكن ما الذي يمكن الحصول عليه في هذا العالم؟بالنسبة إلى بعضهم، ليس ثمة ربح ذا قيمة، لأنّهم وحيدون وتعساء ولا علاج لهم من ذلك. نحن كلّنا منغلقون على أنفسنا في علاقاتنا مع الآخرين! وحتى إن كنّا منفتحين إلى درجة قبول الآخر أو استقراء أعماق روحه، فما هي المسوّغات التي تؤهلنا لإنارة قدره؟ وحدنا في الحياة، نتساءل أليست العزلة في الاحتضار هي رمز الوجود الانساني ذاته. هو عجز محزن لعدم القدرة على الحياة والموت وسط المجتمع: هل هناك تعزيةممكنة في اللّحظة الأخيرة ؟من الأفضل الموت وحيدًا ومتروكًا إذًا، دون تصنع أو مظهر مخادع، لست أشعر سوى بالتقزُّز، تجاه أولئك الذين يُغالون في مشاعرهم ويفرضون مواقف تستدعي التعاطف معهم أثناء الاحتضار. لا

تكون الدّموع حارة إلا خلال العزلة. كل أولئك الذين يحيطون أنفسهم بالأصدقاء ساعة الموت إنّما يفعلون ذلك بسبب الخوف وعدم القدرة على مواجهة لحظتهم الأسمى. في تلك اللّحظة الجوهرية يريدون نسيان موتهم. يتسلّحون بالبطولة، ليغلقوا أبوابهم ليحتملوا هذه المشاعر الرهيبة بوضوح صاف وذعر لا متناه؟

متروكون، معزولون، لا شيء يعبر إلينا... الموت الأعمق، الموت الحقيقي، هو الموت بالعزلة، حين يكون النّور علّة الموت ذاته. مثل هذه اللحظات تعزلك عن الحياة، عن الحب، عن البسمات، عن الأصدقاء - عن الموت أيضًا. نتساءل إذا ألا يوجد شيء آخر غير عدم العالم وملكك الخاص .

عدم استطاعة الحياة

هناك تجارب لا يمكننا البقاء على قيد الحياة بعد انتهائها. تجارب نشعر إثرها أنّه لن يعود هناك معنى لأي شيء بعد بلوغ تخوم الحياة. فبعد أن نكون قد عشنا كلّ ممكنات الأقاصي الخطرة بغيظ، تفقد الأفعال والحركات كلّ سحرها، كلّ فتنتها. فإذا استمررنا في الحياة وقتها فلن يكونَ ذلكَ إلّا بمِنَّةِ الكتابة، والتي حين نجعلها موضوعية، تخفّف هذا التّوتر اللامحدود .

الابتكار حماية مؤقتة من براثن الموت.

أشعر إني على وشك الانفجار مما تهبه لي الحياة وآفاق الموت. أشعر إني أموت من العزلة، من الحب، من الكراهية ومن كلّ أشياء الحياة. يبدو إن كل ما يحدث لي جعل مني بالونة مهيّأة للانفجار. تكتمل في داخلي خلال هذي اللحظات القصوى وتتحوّلُ إلى لا شيء. نتمدّد داخليا إلى حدّ الجنون، ما بعد كلّ التخوم، على هامش النّور، هناك حيث هذا الأخير يتم انتزاعه من اللّيل، نحو امتلاء زائد حيثُ يلقي بك إعصار متوحش مباشرة في العدم. تبتكر الحياة الكمال والفراغ، الحيويّة المفرطة والانحطاط الهائل. من نحن أمام

الدّوار الذي يسحقنا إلى درجة العبثيّة؟ أشعر إن الحياة تقرقع بداخلي تحت ضغط الكثافة، ولكن أيضا بتأثير من انعدام التوازن، مثل انفجار جموح قادر على تفجير الفرد لذاته نهائيًا .

نشعر بالحياة تفلت منّا عند أقاصيها؛ وإن الذاتية ليست سوى وهما؛ وإنّ هناك قوى لا يمكننا التحكّم فيها تغلي بداخلنا مدمّرة كلّ ايقاع منضبط. فما الذي إذا لا يمنح فرصة الموت؟ نموت من كلّ ما هو موجود وما هو غير موجود. يصبح عندئذ كلّ ما عشناه قفزة في العدم. حتى ولو لم نقم بكلّ التجارب، يكفي فقط أننا اختبرنا الجوهري منها. وقتها؛ لن يهم إن متنا بالعزلة، باليأس أو بالحب فبقية الانفعالات لن تفعل سوى إطالة هذا الإحساس بالموكب الجنائزي، بعدم استطاعة الحياة إثر دوخات من هذا القبيل. كلّ هذا يأتي نتيجة هزال داخلي صرف .

يشتعل لهب الحياة داخل فرن لن يكون بإمكان الحرارة الإفلات منه. أولئك الذين يعيشون بلا هاجس الجوهري نجوا منذ البداية؛ لكن ما الذي أنقذوه، هؤلاء الذين لم يعرفوا أدنى خطر؟ ذروة الأحاسيس، حدّة الدّواخل ترحلُ بنا نحو جهة شديدة الخطورة، بما أنّ وجودا يحمل وعيًا شديد الحيويّة بجذوره لا يمكنه إلّا نكران نفسه بنفسه. الحياة محدودة جدًا، مجزأة جدًّا، لكي تستطيع مقاومة توترات هائلة. ألم تمتلك كلّ أشكال التّصوّف إثر نشاوات عظيمة بعدم استطاعة الحياة؟

ما الذي يمكن أن ينتظره من هذا العالم؟ أولئك الذين يشعرون ما بعد المعتاد، ما بعد الحياة، ما بعد العزلة، ما بعد اليأس والموت .

الشغف بالعبثية

لا شيء قد يُثبت فعلًا إننا نحيا. هل يمكننا بعد الآن، وقد غصنا في أعماق أنفسنا، التماس حجج، أسباب، أفعال، أو اعتبارات أخلاقية؟ طبعا، لا: لم يتبق إذا للعيش سوى أسباب عارية من الصحة. في أوج اليأس ، وحده الشّغف بالعبثية يقي من فوضى تَشَظٍّ شيطاني. فحين تكون كل المُثُل المعمول بها ذات طبيعة أخلاقية، جماليّة، دينيّة، اجتماعية أو ذات طبيعة أخرى، لن يكون بإمكانها ترسيخ اتجاه أو مسار للحياة، كيف يمكن إذا وقاية هذه الأخيرة من العدم؟ لن يمكننا ذلك إلا من خلال التعلّق بالعبثيّة واللاصلوحية المطلقة، هذا اللاشيء المتقلّب بعمق رغم إنه يمتلك تخييلا قادرًا على ابتكار وهم الحياة .

إنّني أحيا لأن الجبال لا تعرف كيف تضحك، كما لا يعرف دود الأرض كيف يغنّي .

ينبثق الشغف بالعبثية عند الفرد الذي أُفْرِغَ من كلّ شيء، رغم قدرته على احتمال فظاعات تحوُّلٍ مستقبلي .

يبقى هذا الشغف الملاذ الأخير لمن خسر كلّ شيء . أيُّ سحر يمكن أن يغويه؟

لن يتأخر بعضهم في الرد: التضحية باسم الانسانية أو الملك العام، عبادة الجميل، الخ. لا أحبّ ممن تبقى من النّاس إلا أولئك الذين أنهوا تجاربهم، ولو بشكل مؤقت. هم وحدهم الذين مارسوا بشكل يقيني ممكنات الحديث عن الحياة. إنْ أمكن الحصول على الحب والهدوء، فتلك وسيلة للبطولة وليس للاوعي .

كل وجود خال من جنون عظيم يظل منقوص القيمة. أين يكمن تميز وجود كهذا عن وجود حجرة، قطعة خشب أو عشبة فاسدة؟

أؤكد بكل نزاهة، إنّه لا بدّ من أن تكون حاملًا لجنون عظيم لتصبح حجرة، قطعة خشب، أو عشبة فاسدة .

قياس الألم

هناك من حُكم عليهم ألاَّ يتذوقوا سوى سُمَّ الأشياء، أولئك الذين تؤلمهم أيُّ مفاجأة وتُعذِّبهم أي تجربة. من الممكن أن نقول إنّ لهذا الألم أسبابه الذاتيّة الصّادرة عن مكونات مخصوصة: لكن هل يوجد معيار موضوعي لتذوُّق الألم؟من الذي بإمكانه إثبات إن جاري يتألم أكثر مني، أو إن المسيح قد تألم أكثر من أي شخص آخر؟ ليس بالإمكان تقدير الألم بشكل موضوعي، لأنه لا يمكن قياسه من خلال إصابة خارجية أو اضطراب معيّن في الأعضاء، ولكن في الطريقة التي يشعر بها الوعي ويعكسها. وبالتالي يصبح كلّ مقياس من خلال وجهة النظر هذه، مستحيلا. يحتفظ كلّ واحد بألمه الخاص الذي يرى أنه الألم المطلق الذي لا حدود له. ولو تطلّب الأمر ذكر كل آلام العالم، الاحتضارات الأشد فظاعة والعذابات الأقسى ممارسة، الميتات الأعنف وحشية والتخليات الأكثر إيلاما،كل المصابين بالطّاعون، المحروقين أحياء وضحايا التجويع البطيء، هل يمكن التخفيف من أوجاعنا بنفس الطريقة التي يتم بها تخفيف أوجاعهم؟

لا أحد يمكنه الظفر بعزاء في لحظة الاحتضار، لمجرد معرفة إنّ كلّ الناس في النّهاية هم موتى، وحتى ونحن نتألّم لن نجد مواساة في الألم الحاضر أو الماضي للآخرين. يسعى الفرد في هذا العالم العليل والمتشظي عضويًا إلى تربية وجوده الخاص في صف المطلق: هكذا، يحيا كل واحد كما لو أنه مركز الكون أو التّاريخ. فبذل الجهد من أجل فهم ألم الآخر لن يقلّل من ألمه. ولن تعني المقارنات شيئًا في مثل هذه الحالات طالما إن الألم حالة عزلة داخلية ليس بمقدور أي شيء خارجي التخفيف منها .

إنها لميزة عظيمة تلك القدرة على الألم وحيدا .

ما الذي سوف يحدث لو عبر وجه الانسان بكل فصاحة عن كلّ الألم داخله وتجلّى كلّ العذاب الداخلي من خلال التعبير؟ هل نستطيع وقتها أن نتغير؟ هل بإمكاننا ساعتها أن نتبادل الكلام من غير أن نخبّئ وجوهنا بأيدينا؟ بالتأكيد سوف تكون الحياة مستحيلة إذا ما أصبح من السهل قراءة كثافة مشاعرنا في ملامحنا .

لن يجرؤ أحد بعد ذلك على مشاهدة نفسه في المرآة فالصورة الهُزْأَة والتراجيدية في نفس الوقت تمزج نطاق المظهر بلطخات دم، بجراح مفتوحة وجداول من الدموع، لن يكون بالإمكان حبس تدفقها. وفي قلب الهارمونية المترفة والسطحية التي تتصف بها الأيام من تتاليها، سوف أشعر بلذة مليئة بالرّعب لمشاهدة انفجار بركان يقذف بنيرانه الملتهبة كما اليأس. مشاهدة أقل جرح لنا، ينفتح بلا امكانية لمعالجته

كي يحوّلنا بشكل كامل إلى بركان دموي!

أليس من المفروض إذا أن نعي ميزات العزلة، التي تجعل من الألم أبكما ومغلقا. في انبجاس بركان ذاتنا أليس بإمكان السمّ المتراكم داخلنا تسميم العالم كلّه .

اقتحام الذهن

تُفردنا العزلة الحقيقية تمامًا بين الأرض والسماء وهنا تنكشف درامية المحدودية .

النزهات على انفراد - بما أنها مخصبة وفي نفس الوقت خطيرة جدًّا على الحياة الداخلية- يجب أن تتم دون أن يعكّر أي شيء وحدة الانسان في هذا العالم، عند المساء، ساعة ولا أيّ شكل من أشكال الترفيه المألوفة تبدو ذات فائدة حين تصدر نظرتنا للعالم من الجهة الأعمق في الذهن، من منطقة الانفصال عن الحياة وجرحها. كم من عزلة يلزمنا للنفاذ إلى الذهن! كم من موت يلزمنا في الحياة، وكم من نار داخلية! وفق وجهة النظر هذه تنكر العزلة أن يكون تألق الذهن وليد التمزق الداخلي، ويصبح تقريبًا غير محتمل. أليس دالا على ذلك إنّ الناس التي تحرض ضدهم أولئك الذين يعرفون حدة المرض الذي أصاب الحياة بالعدوى لتنجب الذهن؟ وحدهم الذين في صحّة جيّدة يقومون بتمجيده، أولئك الذين لم يختبروا تقلبات الحياة ولا التناقضات القائم عليها الوجود. أولئك الذين يشعرون بثقل الذهن يتقبلونه فعلا، هم، يقدمونه وبكبرياء، على أساس أنّه كارثة.

ولا أحد في الأثناء مغتبط في داخله بنفسه، بهذا الكسب الكارثي من الحياة. كيف يمكن إذا أن تسحرنا حياة مجردة من الجاذبية، البراءة والعفوية؟ عادة ما يشير حضور الذهن إلى نقص في الحياة، الكثير من العزلة وألم مستمر .

من الذي يتحدّث عن الخلاص عبر الذهن؟ من الخطأ اعتبار الحي الباطن هو حي مكتئب حيث الإنسان متحرر من ذهنه .

والعكس أصحُّ فالذهن يريد لنا اللاتوازن والكآبة، ولكن أيضا شيئا من كبر الروح .

هي علامة لاوعي حين نقوم بتمجيد الذهن، تماما مثل تمجيد الحياة يعتبر لا توازن. بالنسبة إلى شخص عادي، الحياة بداهة؛ وحده المريض يتمرّغ فيها مُعَظِّما إيّاها ليتجنبَ الانهيار فيها .

لكن ماذا عن ذاك الذي لا يستطيع تعظيم الحياة ولا تعظيم الذهن؟

أنا والعالم

حقيقةُ إنَّنِي موجودٌ دليلٌ على أنَّ العالمَ لا معنى له. أيُّ معنى قد أحصل عليه، فعلا، في عذابات شخص مُمَزَّق وبائس بشكل لا متناه، مَنْ، بالنسبة إليه كلّ شيء يُختزَل في الهيئة الأخيرة للعدم ومَن بالنسبة إليه الألم هو ما يحدّد قانون هذا العالم؟ بما أنّ العالم قد سمح بوجود شخص مثلي فذلك يُبيِّن إن اللّطخات على الشمس هي من الاتساع إلى درجة حجب النور. داستني وحشية الحياة وهشمتني، قَصَّت أجنحتي أثناء تحليقي ورفضت المهج التي ادَّعيتها. حماسي المفرط، طاقتي المجنونة التي لم أدّخر جهدا من أجل أن تُشعّ على الأرض، افتتاني الشيطاني الذي قاسيته لأظفر بمجد المستقبل، وكلّ قواي أضعتها من أجل تعديل حيوي أو فجر داخلي – وقد اتضح إنّ كلّ هذا أضعف بكثير من لا معقولية العالم الذي صبَّ بداخلي كلّ ينابيعه للسلبية المسمومة . ليس بإمكان الحياة المقاومة في حرارة مرتفعة. هكذا أدركت إن الناس الأشد تمزقًا، هم من بلغت لديهم الديناميكية الداخلية الذروةَ، أولئك الذين لا يستطيعون التآلف مع الفتور واللامبالاة العادية منذورين للانهيار .

نجد بانهيار الذين يقيمون في مناطق غريبة، الطابع الشيطاني

للحياة، ولكن أيضا لا دلالته وهو ما يفسّر أنه امتياز للسيئين. وحدهم هؤلاء يعيشون في حرارة عادية؛ أما الآخرون فتضنيهم نار ملتهمة. ليس بإمكاني أن أنفع هذا العالم بأي شيء، لأن تمشياتي متفردة: هي تمشيات الاحتضار .

تشتكون من أنّ النّاس رديئون، حقودون، لا يعترفون بالجميل أو انتهازيون؟ أمّا أنا فأقترح عليكم، طريقة الاحتضار والتي سوف تسمح لكم بالإفلات من كلّ الأخطاء وإن بصفة وقتية على الأقل. طبقوها إذا في كلّ جيل. سوف تتجلّى مظاهرها قريبا. هكذا يمكنني أن أكون مفيدًا ربّما للانسانية في شيء ما !

بالسوط، بالنّار أو بالسُمِّ أثبتوا لكلّ محتضر تجربة اللّحظات الأخيرة، كي يدرك، من خلال عذاب متوحش، التطهر الأعظم والذي هو رؤيا الموت. دعوه بعد ذلك يرحل، يركض مرتعبًا إلى أن يقع من التّعب. ستكون النتيجة، ولا تشكُّوا في ذلك، أفضل بكثير من تلك التي سوف نحصل عليها عبر الوسائل المعتادة. ليتني أستطيع أخذ كل العالم إلى لحظة الاحتضار لتطهير الحياة من جذورها! سأضع لهبًا مشتعلًا وعنيدًا، ليس من أجل تدمير الحياة، ولكن لتوصيل طاقة وحرارة مختلفة لها. النّار التي سأشعلها في العالم لن تؤدي إلى خرابه، لكن ستحدث فيه تحوّلات كونيّة، جوهرية .

فهل ستتعود الحياة على هكذا حرارة مرتفعة، وتكف على أن تكون عشًّا للرداءة. ومن يعرف ربّما يتوقّف الموت من أن يكون في

قلب الحلم، أن يكون نقيضًا للحياة؟

(كتبت يوم 8 أبريل 1935، في عيد ميلاد الثاني والعشرين. أكابد شعورا غريبا لتفكيري في أن أكون، في سني هذه، مختصا في اشكالية الموت).

انهاك واحتضار

هل تعرفون هذا الاحساس الشنيع بالذّوبان، الاحساس بفقدان أي قوة للانسياب كما جدول، بشعور أن ذاتك تمَّحي في سيلان غريب وكما لو أنّها مُفرَغة من أيّ ماهية. أشير هنا الى إحساس دقيق وموجع وليس فضفاضا وغير محدد. أن تحس برأسك فقط مقطوعة عن بقية الجسم ومعزولة بشكل هلوسي!

بعيدا عن الإرهاق المبهم والمثير الذي نشعر به أثناء تأمل البحر أو أثناء استسلامنا للأحلام الكئيبة، المقصود به هنا ارهاق يمحقك ويدمرك. وبالتّالي لن يغريك أي جهد، أي وهم .

أن تظلَّ مذهولا بكارثتك الخاصّة، غير قادر على التفكير أو التحرُّك، مسحوقًا بالظلمات الجليدية، ضالا كما لو أنّك تحت نفوذ هوس غامض أو مهملا مثلما تكون في لحظات النّدم. وهو ما يعني بلوغ قمة سلبيّة الحياة، الحرارة القصوى التي تقضي على آخر وهم. في هذا الإحساس بالإنهاك يتكشَّف المعنى الحقيقي للإحتضار: أبعد ما تكون عن معركة مستحيلة، مع حظٍ قليلٍ للظفر بها، هي تعكس صورة الحياة تتخبَّط بين مخالب الموت .

الاحتضار بوصفه معركة؟ معركة ضدّ من ومن أجل ماذا؟

ومن الخطأ تأويل الانتحار كما لو أنّه وثبة متحمسة لم يتمَّ استعمالها، أو كما لو أنه دراما تحمل نهايتها في نفسها. يعني الاحتضار أساسًا تحمل التَعَذُّب عند الحدود بين الموت والحياة. ولأن الموت ملازم للحياة فهذي الأخيرة هي في عمومها احتضار .

أما بالنسبة إلي، لا أعترف بلحظات الاحتضار إلا تلك المراحل الأشدُّ دراماتيكية في المعركة بين الحياة والموت .

حيث نعيش هذا الأخير وفق إيقاع واع ومتألم .

يجعلك الاحتضار الحقيقي تبلغ العدم من خلال الموت. وسريعًا ما يمحقك الإحساس بالإنهاك، وينتصر الموت. نعثر في الاحتضار الحقيقي على هذا النصر للموت حتى وإن انقضت لحظات الإنهاك، نواصل الحياة .

أين هو التعذيب في هذه المعركة المستحيلة؟ أليس للاحتضار في جميع تجلياته أسلوبه المحدد؟ ألا يشبه كثيرا بعض الأمراض المستحيل علاجها والتي تعذبنا بشكل مستمر .

تشير لحظات الاحتضار إلى تقدّم الموت على حساب الحياة، دراما وعي ناتجة عن قطيعة في التوازن بين الحياة والموت. لا يحضران إلا في قمة الإحساس بالإنهاك، حين تصل الحياة إلى أقل درجاتها انخفاضًا. ترددات هذه اللحظات هي مؤشر على التفكك والانهيار. الموت هو

الفكرة الثابتة الوحيدة التي لا يمكنها أن تكون مثيرة. حتى عندما نرغب فيه، تكون هذي الرغبة مرفقة بأسف ضمني. أرغبُ في أن أموت ولكنّني نادم على هذه الرغبة: هذا ما يحس به كل من يسلم نفسه للعدم.

أشدّ الأحاسيس انحرافا هو الاحساس بالموت .

غير إنّ هذه الفكرة الثابتة المنحرفة للموت هي ما تمنعه من النوم !

كم أحبُّ أن أفقدَ أيّ وعيٍ بي وبهذا العالم .

السخري واليأس

يبدو لي أنّ الأشدَّ غرابة في جميع الأشكال التي يتَّخذها ما هو سُخْرِي والأكثر تعقيدا هو ذاك الذي يمد بجذوره في اليأس. سوف لن يراه الآخرون غير نوبةٍ من درجة ثانية. وهل هناك اذا من نوبة أشدّ عمقًا،أشدّ عضوية، كتلك التي في اليأس؟

يبرز السُّخْرِيُّ حين يتناسل من عوز حيوي، أوجاع كبرى. ألا نلاحظ ميلًا جامحا نحو السلبية في ذلك البتر الحيواني وهو في نفس الوقت ميل متناقض يشوّه ملامح الوجه لِيَسِمَها بتعبيرية غريبة، في هذي النظرة المأهولة بالظلال والأضواء المتباعدة؟ بما أنّه مكثف وعضال، لن يكون اليأس موضوعيًا إلا في تعبير السُخْرِي. وهذا بدوره يمثل تمامًا السلبية المطلقة في قمة صفائها – لحظة الصفاء هذه، الشفافية، والوضوح ما بين طرفي نقيض اليأس والتي لا يتناسل منها غير العدم والخواء .

هل اختبرتم ذلك الرضى الهائل بالوقوف أمام المرآة إثر ليال بيضاء بلا عدد؟، هل عانيتم تعذيب الأرق حيث يشعر المرء في كلّ لحظة من الليل، إنه وحيد في هذا العالم وإنّه يعيش الدراما الأساسية

للتاريخ؛ هذه اللحظات التي لم يعد لها أي معنى فتكف عن الوجود، لأنك ستتحسّسُ لهيبًا مرعبًا يصَّاعد داخلك، وسوف يبدو لك وجودك متفردًا في عالم وُلد ليراك تحتضر -هل اختبرت هذي اللّحظات التي بلا عدد، لا نهاية لها، مثل الألم، حيثُ تحيلك المرآة على صورة السُخْرِي ذاته؟ ينعكس عليه توتر أخير بما ينضاف إليه من شحوب ذي سحر شيطاني- شحوب الذي عَبَرَ هاوية الظلمات. ألا تنبثق هذي الصورة السّاخرة كما لو أنها تماما تعبيرة اليأس في مسالك الهاوية؟ ألا تُذَكِّر بتلك الدّوخة السحيقة في الأعماق الشاسعة؟

كم سيكون ناعمًا لو كان بإمكان المرء الموت في فضاء مطلق!

يكمن تَعَقُّدُ السُخْرِي في قدرته على التعبير عما هو داخلي بشكل لا محدود، وهو نفس الشيء بالنسبة إلى نوبة قصوى. كيف أمكنه إذا أن يُحَوِّل كلّ هذا إلى شيء موضوعي ضمن دوائر واضحة ومحددة؟ ينكر السُّخْرِي ما هو كلاسيكي، كما يجفل من كل ما هو هارموني أو ما هو متقن الأسلوب.

أن يخفي السُخْرِي عادة تراجيديات لا يمكن التعبير عنها مباشرة، وهي حقيقة بالنسبة إلى من يدرك الأَشكال المتعدّدة للدراما الذاتية. فالذي استطاع أن يحدّق في وجهه خلال ركود السُّخْري لن يصير بإمكانه إطلاقا أن يقف أمام المرآة، لأنّه سيخاف دائمًا من نفسه. تتلو اليأس حيرة مليئة بالأوجاع.

مالذي سوف يفعله السّخري وقتها إن لم يقم بتحيين الخوف والحيرة وتكثيفهما.

استشعار الجنون

لن يفهم الرّجال أيضا لَمَاذا يكونُ الجنونُ مصيرَ بعضهم، لمَ هذا القدر المُحتّم والذي هو مدخل الخواء، حيث لا يمكن للوضوح أن يستمرّ أكثر من لمعة برق .

الصفحات الأكثر إيحاء هي تلك التي تحرّر وجدانًا مطلقًا، حيث يكون المرء مستسلمًا للإثارة، لسُكْر شامل بالذات، لا يُمكن أن تُكتب هذه الصفحات إلاَّ تحت ضغط حادٍّ إلى درجة أنّ العودة إلى التوازن هي محض وهم. لن يكون بالإمكان الخروج سالما من هذه الحالة، فلقد تم نسف الشأن الحميمي للذات، انهارت الحواجز الداخليّة. لا يتدخّل استشعار الجنون إلّا بعد تجارب عميقة. سوف يتهيأ لكل واحد منّا أنّه بلغ مرتفعات مدوخة، إمّا أن نترنّح أو نفقد التوازن والإدراك العادي لما هو محسوس وآني. كما لو أنّ ثقلًا هائلًا يضغط على الدّماغ ليختزله في مجرد وهم، ورغم ذلك فهذي إحدى المشاعر النادرة التي تكشف لنا هول الواقع العضوي الذي تنهل منه تجاربنا. تحت هذا الضغط الذي يريد دقَّ أعناقنا على الأرض وجعلنا نهرول، من هنا يطلّ برأسه الخوف الذي من الصعب تعريف مكوّناته .

لا يتعلّق الأمر بالخوف من الموت الذي يستحوذ على الإنسان ليستولي عليه إلى حدّ إخماد أنفاسه. ليس ذلك الخوف الذي يتسلل إلى إيقاع ذواتنا ليشلَّ في داخلنا مسار الحياة - هو خوف تعبره التماعات غير معتادة، لكنّها مكثّفة، كما لو أنها معاناة اضطراب تلغي للأبد أيّ إمكانية للتوازن في المستقبل. من المستحيل تطويق هذا الاستشعار الغريب للجنون. يتجلّى جانبه المرعب فيما نراه من غفلة كاملة لما حولنا ومن عطب لا يمكن إصلاحه في حياتنا .

باستمراري في التنفس وتغذية نفسي، فقدت كل ما لم أستطع أن أضيفه لوظائفي البيولوجية. وهو ليس إلا موتًا تقريبيًا. يفقدنا الجنون خصوصيتنا، كلّ ما يشكّل فرادتنا في الكون، نظرتنا الخاصة، كلّ مكان هو ذاتي لذهننا. الموت أيضًا يجعلنا نخسر كلّ شيء. بما يعني تقريبًا أنّ الخسارة نتيجة انعكاس من العدم. ولأن خوف الموت مستمر وجوهري فهو أقلُّ غرابة من خوف الجنون، حيث أن نصف حضورنا هو عامل خبرة أشدُّ تعقيدًا من الوعي العضوي بالغياب الكامل عند مواجهة العدم .

أليس الجنون إذا وسيلة للإفلات من بؤس الحياة؟

لن يُثْبت هذا السؤال أهليته إلّا على المستوى النظري ذلك أنّ من يعاني على أرض الواقع بعض آلامه تعتبر المسألة ظرفية. يتضاعف استشعار الجنون من خوف الوضوح في الجنون. خوف من لحظات العودة إلى الذّات. في اللّحظة التي يكون فيها بإمكان حدس الكارثة

ان يُولِّد جنونًا أشدّ خطرًا. لهذا السبب لا وجود لخلاص في الجنون .

سنحبّ الخواء لكن نخشى أنواره .

أيّ شكل من أشكال الجنون هو خاضع للمزاج والظرف العضوي. كما يُصنَّف أغلب المجانين ضمن المكتئبين، فالشكل الاكتئابي منتشر بشكل كارثي أكثرمن الحماس الفياض .

الكآبة السوداء شائعة بينهم لأن لديهم كل الميول الانتحارية.

الانتحار- ما أصعب هذا الحل عندما لا يكون المرء مجنونًا .

أحبُّ أن أفقد عقلي لكن بشرط وحيد: التّأكد من أن أصير مجنونًا مرحًا، فَكِهًا، دونما مشاكل ولا وساوس، ضاحكًا من الصّباح إلى المساء. رغم أني أرغب بحماس متقد في نشاوى ملتمعة لكنني لا أسعى لذلك لأنّها عادة ما تنتهي بحالات اكتئاب. وفي المقابل أحبّ أن يتدفق منّي جدول ضوء لإعادة تشكيل الكون - جدول بمنأى عن التوتّر والإثارة يحافظ النور السديمي .

سيتّصف بهشاشة اللطافة ودفء الابتسامة. أحبّ أن يبحر العالم في حلم هذا الصفاء، في سحر هذي الشفافية واللامادية. حتى لا يكون هناك أي عائق تزرعه اللّامادة، ولا شكل أو حدود. وإنّني أموت بالنّور في هذا الفردوس.

حول الموت

هناك بعض المسائل تَعْزِلُك في الحياة إن تعقّدت بل قد تفنيك أيضًا وقتها تستوي الخسارة بالرّبح. المغامرة الذّهنية أو الاندفاع اللّامحدود نحو الأشكال المتعدّدة للحياة، الرغبة في حياة متمنعة. كلّ هذا ليس إلّا تمظهرات بسيطة لحساسية زائدة، معدومة الرّصانة بالنسبة إلى من تميّز بمعالجة مسائل مُدوِّخة. لا يتعلق الأمر هنا بخطورة ما نسمّيه رصينًا، لكن بحدّة يثيرها الجنون، يدفع بك، في كلّ لحظة، نحو مقام الخلود .

هكذا يفقدُ العيش في التّاريخ كلّ دلالة؛ لأنّ الإحساس باللّحظة مُكثَّف إلى درجة امّحاء الزمن أمام الخلود. بعض المسائل الشكلية جدًّا، بما هي معقدة، لا تستدعي اطلاقا رصانة مطلقة، بما إنها، غير نابعة من أعماق ذواتنا، فإنما هي نتاجات حيرة الذكاء. وحده المفكر العضوي قادر على هذا النوع من الرصانة، إلا إذا كانت الحقائق بالنسبة إليه نابعة من التعذيب الدّاخلي وليس من مجرّد التأمل المجّاني. فمن يفكر من أجل متعة التفكير هو في الجهة المقابلة لمن يفكر تحت تأثير لا توازن حيوي. أحبّ الفكرة التي تحافظ على مذاق الدم

واللحم وأفضِّل ألف مرّة تبصُّرًا ناتجا عن هذيان حسي أو انهيار عصبي على التجريد الفارغ. لم يفهم الناس إلى حد الآن إن وقت الانسداد السطحي قد انتهى، وإنّ صرخة يأس هي أكثر دلالة من أحذق جدل فارغ، وإن دمعة لها دائما منابع أكثر عمقًا من ابتسامة. لِمَ نرفض تقبَّل القيمة الاستثنائية للحقائق الحيّة، الصادرة من دواخلنا؟ لن نفهم الموت أبدًا إلاَّ من خلال الشعور بالحياة كما لو أنها احتضار مستمر، حيث تمتزج الحياة بالموت .

لا يمتلك الأصحاء ،لا تجربة الانتحار ولا الإحساس بالموت. تدور حياتهم كما لو أن لها أسلوبًا محددا، فهي ميزة عند الناس العاديين الذين يرون الموت ينبثق من الخارج، وليس باعتباره حتمية ملازمة للذات. من أكبر الأوهام تلك التي ترتكز على نسيان إن الحياة أسيرة الموت. تبدأ الكشوفات ذات الطبيعة الغيبية حين يشرع التوازن السطحي للإنسان في الترنّح وتحل العفوية الساذجة محلّ القلق العميق .

فكرة إن الإحساس بالموت لا يظهر إلّا عندما ترتج الحياة في أعماقها، تدلّ وبشكل مؤكد، ملازمة الموت للحياة. تأمُّل هذي الأعماق يشير إلى أي درجة إن الايمان بالصفاء الحيوي مخادع، وكم إن الايمان بالطابع الشيطاني للحياة يتوفر على جوهر غيبي .

بما أنّ الموت ملازم للحياة، لماذا يجعل الوعي بالموت فعل الحياة مستحيلًا؟ لن يضطرب العيش العادي بالنسبة إلى الانسان، لأنّ

مسار المدخل للموت يأتي بشكل عفوي بسبب انخفاض الكثافة الحيوية. وحده الاحتضار الأخير يميّز الإنسان، وليس الاحتضار المستمر المتعلق بالبواكير الحيوية. كلّ خطوة في الحياة هي خطوة في الموت وما الذاكرة إلّا تذكير بالعدم. مجردا من المعنى الميتافيزيقي ليس للانسان العادي وعيًا بالدخول التدريجي في الموت رغم أنه لن ينجو من قدر محتوم. حين تخلص الوعي من الحياة بدا تجلي الموت أشدّ كثافة إلى درجة أنّه دمّر كلّ سذاجة، كلّ حماس فرِحٍ وكلّ لذة طبيعيّة. ثمة هنا ضلال، سقوط غير منتظر للوعي بالموت. سوف يظهر إذا أنّ شعر الحياة الساذج وسحره مفرغ من كلّ محتوى وكذلك الأفكار النهائية والأوهام اللاهوتية .

امتلاك وعي باحتضار طويل، فذلك يعني انتزاع التجربة الذاتية من إطارها الساذج لكشف العجز والتفاهة، قلع الجذور اللامعقولة للحياة نفسها .

معاينة الموت وهو يمتد، معاينته وهو يدمّر شجرة، ويتسلّل خلال الحلم يُذبِّل زهرة أو حضارة، يأخذك إلى ما بعد الدّموع والتحسرات، إلى ما وراء كلّ شكل أو نوع. من ذا الذي لم يمتلك هذا الاحساس بهذا الاحتضار الفظيع، حيث يقوم الموت في داخلك ليغزوك كما لو أنه تدفق دم، كما لو أنّه قوّة تكمّم أنفاسك أو تخنقك ولا يمكنك التّحكم فيها، مُحدثا هلوسات مرعبة، فمن لم يمتلك مثل هذا الشعور يجهل الطابع الشيطاني للحياة والتفاعلات الجوانية الخلاقة لتغيّرات

الوجه الهائلة .

وحده هذا السُكْر المُعتم بإمكانه أن يُيَسِّرفهم لماذا نرغب وبشكل حريص في نهاية العالم . ليس اطلاقا ذلك سُكْرُ النشوة المضيء، مقتحمًا برؤى فردوسية، نصعد نحو مجرّة من الصّفاء حيث الحيوية تسمو بنفسها لتتجرّد من المادية:

تعذُّب مجنون، خطر، هدّام يميّز هذي السَّكرة حيث ينبثق الموت بأعين أفعى مُجلَّلا بمفاتن كابوسيّة .

مثل هذه الأحاسيس، مثل هذه الرؤى تجعلك مرتبطًا بجوهر الواقع: في حين أن أوهام الحياة والموت تمزّقان القناع. سوف يؤدي تعظيم الاحتضار إلى دوار رهيب من الحياة إلى الموت بينما ستعير الشيطانية الحيوانية اللذَّةَ دموعًا. فالحياة بوصفها احتضارًا مستمرًا ودربًا نحو الموت ليست سوى نسخة إضافية للجدلية الابليسية التي جعلتها بدورها تلد أشكالًا ثم تدمرها. فتعدد الأشكال الحيوية ينتج جنونًا ديناميًا حيث لن يتجلّى سوى الإيمان بالشيطان والدمار. هكذا ستتجلّى أيضًا لا معقولية الحياة من خلال هذا التداخل بين الأشكال والمضامين وفي هذه المحاولة المسعورة من أجل تجديد هيئات متداعية. وهو ما يسمح لشكل من أشكال السعادة اختيار لمن سوف تستسلم لتكون، ساعية، فيما وراء كلّ اشكالية شديدة التعقيد، لتذوُّق كل احتمالات اللّحظة بمنأى عن المواجهة الأبدية الفاضحة لنسبية لا تُقهرُ. فتجربة السّذاجة هي خشبة الخلاص الأخيرة. لكن مسألة

الخلاص بالنسبة إلى أولئك الذين يعتبرون الحياة احتضارا طويلا ليست سوى مجرّد سؤال.

من خلال المرض عمومًا وحالات الاكتئاب يكتمل تجلّي ملازمة الموت. هنالك طبعًا مسالك أخرى، غير أنّها عرضية وذات طابع فردي :إمكانية تجليها محدودة.

إذا كان للأمراض مهمّة فلسفية فليس إلا من أجل أن تكشف عن مدى هشاشة حلم حياة مُنجَزَة. يجعل المرض الموت حاضرًا دائمًا؛ فالأوجاع تجعلنا مرتبطين بحقائق ميتافيزيقية، لن يكون بمستطاع شخص عادي في صحة جيدة أن يفهمها. يتحدث الشّباب عن الموت باعتباره حدثًا خارجيًا؛ ما أن يلطمهم المرض بسوطه، حتّى يفقدوا وقتها كلّ أوهام الشباب. ليس من شكّ أن كل التّجارب الأصيلة هي تلك التي تأتي من المرض. كلّ التّجارب الأخرى تحمل حتمًا ختمًا خداعيًا، ذلك أنّ توازنًا عضويًا لا يسمح إلّا بحالات ممكنة، حيث يتأتّى تعقيدها من تخييل مستثار. فوحدهم الموجوعون قادرون على أصالة حقيقية. أمّا الآخرون فهم في دواخلهم على استعداد لرفض الكشوفات الميتافيزيقية الناتجة عن اليأس والاحتضار من أجل حب ساذج وشهوة حسّية لاواعية.

كلّ مرض هو متعلق بالبطولة – بطولة المقاومة وليس الغزو، يتمظهر من خلال العزيمة، والثبات عند المواقع التي خسرناها في الحياة. هذي المواقع التي لم تعد صالحة إطلاقا هي تماما كما المرض

المُعدي بطريقة عضوية، كما يتحدد عند حالات الاكتئاب عندهم والتي تحملُ طابعًا متكررًا للفرد. هكذا يمكن تفسير لماذا نجدُ أنّ تأويلات المكتئبين المألوفة ليس لها أي مبرر عميق للخوف من الموت. كيف يمكن تفسير إذا أنه وفي خضم حيوية مزدحمة يبرز الخوف من الموت أو على الأقل المشكل الذي يطرحه؟ يجب البحث عن جواب لهذا السؤال في بنية الحالات المكتئبة: فحين ستتسع الهوة التي تفصلنا عن العالم، ينحني الإنسان على نفسه ويكتشف الموت في صميم ذاتيته. عندئذ سيخترق تمشٍّ استبطاني كل الأشكال الاجتماعية التي تغلف نواة الذاتية. حالما يتم تجاوز النواة سوف يكشف الاستبطان تدريجيا ومن خلال نوبات منطقة حيث الحياة والموت في ارتباط لا ينفصم.

ينضاف شعور ملازمة الموت عند المكتئب إلى الاكتئاب فيخلق مناخًا من القلق المستقر حيث السلم والتوازن مبعدين إلى الأبد.

تُدْخل هجمة الموت بسهولة العدمية على بنية الحياة في تشكيل الذات. وكما أن الموت غير معقول في غياب العدم فالحياة أيضًا غير معقولة دون مبدأ السلبية. تضمين العدم في فكرة الموت مرتبط بالخوف الذي نحمله منه وهو ليس إلا خشية اللّاشيء. تسجّل ملازمة الموت انتصار العدم على الحياة، مؤكدة أنّ مهمّة الموت هنا تحيين الدّرب نحو العدم في كلّ حين.

حلّ عقدة هذه التراجيديا الكبيرة للحياة – للإنسان بشكل

خاص-، تكشف أنّ الثّقة في أبديّة الحياة مخدوعة؛ لكن الشعور الساذج بالأبدية يمثل الإمكان الوحيد لارتياح الإنسان التاريخي .

في الواقع؛ كلّ شيء يختزله الخوف من الموت. حيثما لاحظنا تنوعًا في أشكال الخوف من الموت، فلا يعني سوى اختلاف هيئات نفس رد الفعل إزاء حقيقة أساسية. الإدراكات الحقيقية مرتبطة بهذي الاتصالات المعتمة مع هذا الخوف الجوهري.وعادة ما يتوه أولئك الذين يحاولون التخلّص منه اعتمادا على براهين مصطنعة ذلك أنه من المستحيل بمكان إلغاء إدراك عضوي عن طريق بناءات تجريدية. كلّ من يطرح بشكل جاد مشكلة الموت لن يستطيع الإفلات من الخوف. وهذا أيضًا ما يرشد أتباع الايمان إلى الخلود. يقوم الإنسان بجهد موجع لإنقاذ- حتى في غياب اليقين- عالم القيم الذي يعيش فيه ويسهم فيه،في محاولة للانتصار على عدمية سَعَة مؤقتة لتحقيق الكوني. أمام الموت وبعيدًا عن كلّ عقيدة دينية لن يدوم شيء مما اعتقد العالم أنه خلقه من أجل الأبدية. يتّضح وقتها أنّهُ لا معنى للأشكال والمقولات التجريدية، ويبدو طموحها للكونية أمرًا وهميًا من خلال تمش في التلاشي لا دواء له. لا شكل ولا مقولة بإمكانهما مسك الوجود ضمن بنية جوهرية، إذا لم يمكنهما فهم المعنى العميق للحياة والموت. ما الذي يمكن أن تعترض عليهما فيه العقلانية أو المثالية؟لا شيء. وفيما يخص التصورات والنظريات الأخرى لن تعلمنا تقريبًا أي شيء حول الموت. فالصمت أو صرخة اليأس هما الموقف الملائم الوحيد .

أولئك الذين يدَّعون أنه لا وجود لحجة تبرّرُ الخوف من الموت بما أنّ الموت لا يمكن أن يتعايش مع الأنا، سيغيب هؤلاء كما الفرد. لقد تناسوا تلك الظاهرة الغريبة ألا وهي الاحتضار التدريجي.

أيّ مواساة في الواقع تلك التفرقة المصطنعة بين الأنا والموت والتي يمكن تقديمها لشخص يشعر بالموت بكثافة حقيقية؟ أيّ معنى باستطاعة فكرة دقيقة أو حجة أن تقدماه لشخص هو فريسة وسواس لا دواء له؟ كلّ محاولة لتناول المسائل الوجودية من خلال المنطق مآلها الفشل. كبرياء الفلاسفة يمنعهم من الاعتراف بخوفهم من الموت وهم على درجة من الغرور تجعلهم لا يعترفون بالخصوبة الذهنية التي يتوفّر عليها المرض: هؤلاء هم في الحقيقة الذين يرتجفون أكثر. لكن لا ننسى أنّ الفلسفة هي فن حجب الأوجاع والعذابات.

الشّعور بما لا يمكن ترميمه هو الذي يصاحب دائمًا الوعي وحس الاحتضار؛ ييسر فهم الرضا المتألم المشدود إلى الخوف، لكن لا يعبّر بأيّ شكل من الأشكال عن حب أو تعاطف مع ظاهرة الموت.

لا يمكن تعلّم فن الموت، لأنه لا قاعدة له، لا تقنية، لا معيار.

يدرك المرء في داخل نفسه وسط الآلام والتوترات اللانهائية أنَّ لا دواء للاحتضار.

ليس لأغلب النّاس الوعي بالاحتضار البطيء الذي يتشكل داخلهم؛ لا يعرفون سوى ذلك الذي يسبق المعبر الأخير نحو العدم. يظنون أنّ هذا الاحتضار الأخير هو وحده يكشف رؤى مهمة حول

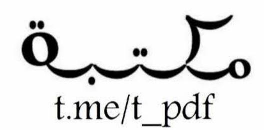
الوجود. غير أنّ النّهاية لن تكشف لهم شيئًا كبيرا: سينطفئون حائرين كما عاشوا حياتهم.

أن يتجلّى الاحتضار في الزمن يدلّ على أنّ الزّمنية ليست شرط الخلق فقط، هي أيضًا شرط الموت، شرط هذه الظاهرة الدراماتيكية أننا سنموت. نعثر هنا على الأسلوب الشّيطاني للزمن الذي يحيط بالولادة كما بالموت، بالخلق كما بالتدمير، دون أن ندرك في خضم هذا التشابك أي تماس مع السمو.

تشجع شيطنة الوقت على الإحساس بما لا يستحيل مداواته، والذي يفرض نفسه علينا عكس ميولنا الأشد حميمية. أن نقتنع اننا لن نفلت من مصير سيئ، أن نخضع للقضاء والقدر، أن يكون لدينا يقين أن الزمن يستبسل دائمًا لتحيين التمشي التراجيدي للهدم-هذي تعبيرات المحتم. ألن يمثل العدم في هذه الحالة الخلاص؟ لكن أيّ خلاص في اللّاشيء؟ وهو تقريبا مستحيل في الوجود، كيف سيتحقق إذا خارجه؟

إذا، طالما لا خلاص في الوجود، ولا في العدم، فليفن هذا العالم وقوانينه الخالدة!

مالنخوليا



كلّ حالة نفسية تطمح إلى التأقلم مع خارج يتناسب مع نوعها، أو إلى تغييره تبعًا لطبيعتها الخاصة. كلّ حالة جوهرية وعميقة تحتوي في الحقيقة على صلات حميمة بين المستويات الذاتيةوالموضوعية.

سيكون من السذاجة تصور حماسة متفلتة في محيط مسطّح ومُنغلق؛ وفي حالة حدث ذلك فإنما هو ناتج عن امتلاء متتال يدفع إلى شخصنة المحيط ككل. تشاهد عيون الإنسان ما في الخارج بوصفه تعذيبًا داخليًا. وهذا ناتج عن انعكاس ذاتي ليس بإمكان الحالات النفسية والتجارب المكثفة بلوغ المرام. ليست النشوة ظاهرة داخلية فقط إنّما هي تُغَيِّرُ موضع السَّكرة المضيئة من الدّاخل إلى الخارج .

يكفي مشاهدة وجه مُنْتشٍ لإدراك مدى توتره الذهني .

لماذا تطلب مالنخوليا مُطْلَقا خارجيًا؟ لأنّ بنيتها تتوفر على امتداد، فراغ، لا يسمحان بضبط الحدود لها. ويمكن تجاوز هذه الحدود بطريقة ايجابية أو سلبيّة. الحماسة، الحيويّة المفرطة، الغضب، الخ... كلّها حالات دَفْق، حيث الكثافة تكْسِرُ أيّ حاجز وتُفقد

التوازن العادي. هي وثبة الحياة الإيجابية الناتجة عن حيوية زائدة وامتداد عضوي. فحين تجد الحياة نفسها فيما وراء محدداتها العادية، فليس لتنكر نفسها، ولكن لتحرر طاقات كامنة فيها توشك على الانفجار. كل حالة قصووية هي اشتقاق من الحياة ومن هذا الانحراف تدافع ضد نفسها. وفيما يخص تجاوز الحدود الناتج عن حالات سلبية، فله معنى مختلف تماما:لا يتشكل من الامتلاء،بل، بالعكس، من فراغ له مرافئ غير محددة، كذلك كلّما بدا هذا الفراغ نابعًا من أعماق الكائن ليمتد تدريجيا كما لو أنه الغرغرينا. مسار نقصان أكثر منه تطور؛ مقابل الانشراح في الوجود يمثل هذا المسار عودة للعدم .

الإحساس بالفراغ ومجاورة اللاشيء - احساس موجود في مالنخوليا - لديه أصول أعمق بكثير أيضا: تعب يميّز الحالات السلبية .

يعزل التعب الإنسان عن العالم وعن أي شيء آخر. يخفُّ الايقاع الحاد للحياة ويفقد النشاط الداخلي والنبضات العضوية هذا التوتر الذي يميز الحياة في العالم ويجعل منها لحظة ملازمة للوجود. يُعتبر التعب المُكَوِّن العضوي الأول للمعرفة ليُولِّد الشروط الضرورية لمفاضلة الانسان في العالم، ومن خلاله ندرك هذا البعد المتفرد الذي يجعل العالم في مواجهة الانسان. يجعلك التعب تعيش أعلى من القمة المعتادة للحياة ولا يمنحك سوى استشعار الضغط الحيوي. وفي

النتيجة، فإن منبع مالنخوليا يوجد في المنطقة حيث الحياة مهزوزة واشكالية. وهكذا نفهم خِصْبها بالنسبة إلى المعرفة وعقمها بالنسبة إلى الحياة.

وإن استولت التجارب العادية على الحميمية البسيطة مع ما هناك من تشكلات مُشخصنة للوجود، سوف يُولِّد الانفصال عنهما، إحساسًا مبهمًا بالعالم، مع حسّ بغموض هذا العالم. تجربة خفية ورؤيا غريبة تلغيان الأشكال الثابتة والمآزق الفردية والمتمايزة من أجل ثوب شفاف مجرّد وكوني. الانفصال المتدرج من كلّ ما هو حسي ومشخصن يرفعك نحو رؤيا شاملة تكسب فيما هو ممتد ما خسرته بالتدقيق. لا وجود لحالة مالنخوليا بمعزل عن هذا الارتقاء، دون تمدد نحو المرتفعات، دون إعلاء هو أعلى من العالم. بمنأى عن تلك التي تُنشِّط الكبرياء او الحقد، اليأس أو الميل الجَمُوح نحو السلبية. وهذا المرقى هو نتاج ردّة فعل طويلة وحلمية منتشرة ولدت من التعب. وإذا ما نبتت للإنسان أجنحة في مالنخوليا، فليس من أجل الالتذاذ بالعالم، وإنما ليكون وحيدا. ما معنى العزلة في مالنخوليا؟ أليست مرتبطة بإحساس اللّامنتهى، سواء كان داخليًا أو خارجيًا؟ وتظلّ النظرة المالينخولية بلا معنى إن جاءت خالية من بعد اللامحدود. اللّامحدود والغموض الداخلي اللذان لا يجب مقارنتهما باللامتناهي المُخصَّب بالحب، وبإلحاف، يطالبان بمساحة حيث التخوم غير قابلة للحجز. تستوجب مالنخوليا حالة مبهمة، دونما أيّ نية محددة. بينما تحتاج التجارب العادية إلى أشياء واضحة وأشكال

كريستالية، يتمّ الاتصال بالحياة في هذه الحالة من خلال الشخصي؛ هو اتصال ضيق ومؤكد .

الانفصال عن الوجود وترك الذات بين يدي اللّامتناهي يعلي الإنسان لانتزاعه من إطاره الطبيعي. يتركه أفق اللامحدود وحده في العالم. كلّما احتدّ وعي لا نهائية العالم احتدَّ أكثر احساسه بمحدوديته الذاتية. وإذا ما أدّى هذا الوعي في بعض الحالات إلى الاكتئاب والعذاب، سيصبح أقلّ ألما في مالنخوليا بسبب التّسامي الذي يجعل من العزلة والإهمال أقل ثقلا ويكسبها أحيانا أسلوبًا شهوانيًا .

التفاوت بين لانهائية العالم ومحدودية الإنسان هو حافز جيّد لليأس؛حين نتعامل معه ضمن بُعد حلمي – كما هو الشأن في حالات مالنخوليا-تكف عن أن تكون مُعذبة، لأن العالم مكسو بجماليّة غريبة ومعتلّة .

فالمعنى العميق للعزلة يفترض إيقاف وجود الإنسان في الحياة. إنسان متألم من فكرة الموت ، في وحدته. والعيش وحيدا يعني أنه لم يعد ثمة ما يغري ولم يعد هناك أي أمل في الحياة .

فالموت هو المفاجأة الوحيدة في العزلة. فكبار المنعزلين لا ينسحبون أبدا من أجل الاستعداد للحياة، بل، بالعكس، لينتظروا الخاتمة مستسلمين. من المستحيل بث رسائل للحياة من الصّحاري والكهوف. ألا يُدين هذا كلّ الديانات التي وجدت في الصحاري والكهوف منبعها؟

ألا توجد في اشراقات كبار المنعزلين وتأمّلاتهم رؤيا النهاية والانهيار مقابل كلّ فكرة عن المجد والبريق؟

وفي بعض الحالات سيتّخذ معنى عزلة المالينخوليين طابعًا جماليا. لا نتحدث عن مالنخوليا الرقيقة والمثيرة؟

أليس الموقف المالينخولي في حد ذاته باستثناء سلبيته وانفصاله موسوم بالجمالية؟

يتميز موقف متذوق الجمال بسلبية تأملية تلتذ بالواقع لحساب الذاتي، دون مقاييس أو معايير، وتجعل من العالم عرضا فرجويا يتابعه الإنسان بكل سلبية. يزيح التصور «المذهل» للحياة كل ما هو تراجيدي والتناقضات الملازمة للوجود واللذين ما أن يعرفهما المرء ويشعر بهما حتّى يبعثان داخله ألما مُدوخا، ألا وهو دراما العالم.

تفترض تجربة التراجيدي توترًا عجيبًا عند الهاوي، لأن ذاتنا تنخرط فيها بشكل شمولي وحتمي إلى درجة أنّ كلّ لحظة فيها تتحول إلى مصير وليس مجرد انطباع. والحلمية باعتبارها حاضرة في كل حالة جمالية لا تمثل العنصر الرئيسي للتراجيدي. وبالتالي فالجمالي في مالنخوليا يتجلّى أساسًا في الميل نحو الحلمية، نحو السلبية والافتتان المثير. هذي الهيئات متعددة الأشكال تمنعنا إذا من تشبيه مالنخوليا بحالة جمالية. أليست مألوفة أكثر في شكلها الأسود.

لكن؛ وقبل كلّ شيء، ما المقصود بمالنخوليا الرقيقة؟

من الذي لم يعش ذلك الشعور الغامض بالمتعة خلال ساعات الظهر من فصل الصيف، حين نسلم أنفسنا لأحاسيس خالية من كلّ إشكالية محددة والإحساس بأبديّة هادئة يبعث في الروح ارتياحًا غير مألوف؟ يبدو أن كلّ هواجس هذا العالم وريباته الذهنية تم اختزالها كلها في الصمت، كما قدام عرض فرجوي ذي جمال استثنائي حيث تنعدم المشاكل أمام المفاتن. فيما وراء الهيجان، والاضطراب والغليان، هناك هيئة هادئة تتذوق بشهية رصينة كل رونق الكادر. من بين العناصر الجوهرية للحالات المالينخولية، يظهر الصمت وغياب حِدَّة متفردة . يشرح الندم، وهو جزء مُدمج في مالنخوليا غياب هذه الحدة المخصوصة. وإن تفاقم النّدم فذلك لما ينقصة من حدّة لإثارة وجع عميق. تحيين بعض الوقائع أو الميولات القديمة، إضافة لانفعالنا الحاضر بعناصر هامدة، علاقة النغمية الانفعالية للأحاسيس بالمحيط الذي ولدت فيه لتبارحه بسرعة. كلّ هذا تحدّده بشكل جوهري مالنخوليا. يعبّر النّدم على مستوى انفعالي ظاهرة عميقة : التقدم في الموت من خلال الحياة. آسف لما هو ميت في داخلي، ذلك الجزء الميت مني. لن أُحَيِّن إلا شبح الوقائع والتجارب المكتملة، غير ان هذا يستدعي إظهار اهمية الجزء الميت. يكشف الندم المعنى الشيطاني للزمن والذي بحكم انحراف التحولات التي يحدثها بداخلنا يؤدي ضمنيا إلى فنائنا .

يجعل النّدم من الشّخص مالياناخوليا من دون أن يُشلَّه، دون ان يُفشل طموحاته، ذلك أنّ ما يقترحه من وعي بما لن يتم ترميمه لا يتم

تطبيقه إلا في الماضي، يظل المستقبل بشكل مّا مفتوحا.

ليست مالنخوليا حالة جاذبية محتدة، ناتجة عن داء عضوي، ذلك أنّ لا علاقة لها بذلك الاحساس الرّهيب لما يستحيل ترميمه الذي يغطي كلّ الوجود ونعثر عليه في بعض حالات الحزن العميق. حتى مالنخوليا الأشد سوداوية هي نزوة عابرة أكثر منها حالة جوهرية؛ وهذه الأخيرة لا تستبعد اطلاقا الحلمية، وبالتالي لا يجوز تشبيهها بالمرض. فمن حيث الشكل تتخذ مالنخوليا الرقيقة الشهوانية ومالنخوليا السوداء نفس المظهر :فراغ داخلي، لا امتداد خارجي، أحاسيس ضبابية، حلمية، تسام، الخ. ولن يظهر التفرقة بينهما بشكل دقيق إلا من خلال حجم تأثير الرؤيا. من الممكن أن تعدد أقطاب مالنخوليا مرتبط بالبنية الذاتية أكثر منه لطبيعتها. سوف تكتسي الحالة المالينخولية باعتبار ضبابيتها بأشكال متنوعة بحسب الأفراد. خالية من الكثافة الدراماتيكية تتنوع هذه الحالة وتتذبذب أكثر من أي حالة أخرى. بما أن قوّتها شعرية أكثر منها حركية فلديها لطافة محفوظة (لهذا السبب نجدها عند النساء أكثر) لن نعثر عليه في الحزن العميق .

تظهر هذي اللطافة أيضا في المشاهد ذات الألوان المالينخولية. امتداد الأفق في المشهد الهولندي أو المشهد التنويري، في امتداد ظله ونوره، مع ما ترمز إليه وديانها من لانهائي وأشعة الشمس وما تضفيه على العالم من طابع لا مادي، أمنيات وتحسرات أشخاص يرسمون ابتسامة الفهم والعطف، يعكس هذا البعد لطافة رقيقة ومالىناخولية.

في هذا الكادر يبدو الإنسان خانعا وهو يقول بكل أسف:«ما الذي تريدونه؟ فهذا كل ما لدينا .»

عند حافة كل ماليناخوليا تظهر إمكانية المواساة أو الخضوع .

العناصر الجمالية للماليخوليا تغلف فرضيات هارمونية مستقبلية وهو ما لا يمنحه الحزن العميق. فهذا الأخير يفتح بالأساس على ما يستحيل ترميمه، بينما تفتح الماليناخوليا على الحلم واللّطافة .

لا شيء ذو أهمية

ما الذي يهمُّ إن تعذَّبت، تألَّمت أو فكرت؟ أحملُ أسفًا كبيرًا فوجودي في هذا العالم لا معنى له سوى أن يرُجَّ بعض الوجودات الهادئة ويُزعزع- لأسفي الأكبر مرة أخرى - اللّاوعي الهاديء للبعض الآخر.

رغم أني أحس بتراجيديتي الخاصة كما لو أنها الأخطر في التاريخ - بل أخطر من سقوط الإمبراطوريات أو أيّ انهيار في أعماق منجم - لديَّ إحساس ضمني بعجزي ولا معناي. أعتقد إنَّني لاشيء في هذا العالم، لكنّني أحسّ أنّ وجودي هو الحقيقة الوحيدة. بل إذا ما خُيرْت ما بين وجود العالم ووجودي الخاص، سوف ألغي طبعًا الوجود الأوّل بكلّ أنواره وقوانينه لأحلق وحدي في العدم. ورغم أنّ الحياة ليست سوى تعذيبًا، لن أستطيع رفضها، لأنّي لا أؤمن بمطلق القيم الذي سأضحّي من أجله. ولأكون أكثر جدية، أنا لا أعرف لماذا أحيا، وأيضا لا أعرف لماذا لا أتوقّف عن الحياة. فحتما المفتاح يكمن في لا منطقية الحياة، وهو ما يجعلها تظل على حالها دونما أي سبب. وإن لم تكن هناك سوى أسباب عبثية من أجل الحياة؟ لا يستحق هذا العالم

أن نضحي بأنفسنا من أجل فكرة أو عقيدة. فهل نحن سعداء اليوم أكثر لأن آخرين ضحوا بأنفسهم من أجل الخير لنا؟ أيُّ خير؟ وحتّى لو ضحَّى أحدهم بنفسه فعلا من أجل أن أكون الأسعد فستكونُ الحقيقة أشد تعاسة، لأنّه ليس في نيتي أن أُشَيِّد وجودي فوق مقبرة. هاك لحظات أشعر فيها أنني مسؤول على كل تعاسة التاريخ، حيث لا أفهم لماذا أسال بعضهم دماءهم من أجلنا. تستوجب الإيرونية الفائقة أن ندرك إن هؤلاء كانوا أكثر سعادة منّا نحن اليوم. اللّعنة على التاريخ! لا شيء يعنيني بعد الآن؛ وتبدو لي مسألة الموت نفسها مثيرة للسخرية؛ الألم - عقيم ومحدود الحماس - مخدوع الحياة - قياسية؛ جدلية الحياة - منطق وليس شيطانية؛ اليأس - قاصر ومُجَزَّأٌ؛الخلود- كلمة جوفاء؛ تجربة العدم-وهم ؛القضاء والقدر - خدعة... وإذا ما فكّرنا بشكل جدّي، فيما ينفع كلّ هذا؟ لماذا نطرح أسئلة، نحاول إضاءة أو تقبّل الظلال؟ أليس من الأفضل لي دفن دموعي في الرّمل على حافة البحر في عزلة مطلقة؟غير أني لم أبك إطلاقا، لأن الدّموع تحولت إلى أفكار أشدّ مرارة من الدموع .

نشوة

أجهل أي معنى قد يمتلكه ذهن ارتيابي، من بالنسبة إليه هذا العالم، لاشيء فيه مُصَمَّم، النشوة، الأشدُّ كشفا، الأكثر غنى، الأشدّ تعقيدا والأكثر خطرا، نشوة الأسس المكتملة للحياة. لن يجعلك هذا النوع من الانتشاء تظفر لا بيقين بيِّن ولا معرفة محددة غير أنّه سيتوفر على احساس مكثف بالمشاركة الفعالة يتجاوز كلّ حدود المعرفة العادية وأصنافها. فكما لو أنّه في عالم الحواجز هذا، البؤس والتنكيل، ينفتح باب على المركز الأساسي للوجود وفي استطاعتنا أن نمسك به في أبسط الرؤى وأكثرها جوهرية وفي أروع التّنقلات الميتافيزيقية. سوف نعتقد وقتها أننا بصدد متابعة انهيار الطبقة السطحية التي صنعها الوجود وأشكال متفردة للانفتاح على مناطق أكثر عمقًا. فهل من الممكن تَحَقُّق هذا الإحساس الحقيقي الميتافيزيقي للوجود من دون إلغاء هذه الطبقة السطحية؟

وحده؛ وجود مُطهَّر من هذه العناصر المحتملة هو ذو طبيعة تسمح بولوج المنطقة الجوهرية. فالشعور الميتافيزيقي بالوجود له طابع انتشائي. وكلّ ميتافيزيقا تضرب بجذورها في شكل مخصوص

من النشوة. من العيب أن لا نرى ذلك إلا في التنويعة الدينية. ففي الحقيقة، توجد أشكال متعدّدة، مشدودة إلى مظهر ذهني مخصوص أو مزاجي لا تؤدي إلى التّسامي. لماذا ليس هناك نشوة بالوجود الصافي، بالجذور الملازمة للحياة؟ لا تكتمل في تعمق يمزق الحجب السطحية ليسمح بولوج مركز الوجود؟ فإمكانية ملامسة جذور هذا العالم، تحقيق السُّكر المطلق، تجربة الأصلي والجوهري، فذلك هو تأكيد للشعور الميتافيزيقي النابع من الانتشاء بالعناصر الأساسية للذات. النشوة بوصفها إثارة ضمن التلازم، الهيجان، رؤيا جنونية لهذا العالم - فهذي قاعدة للميتافيزيقا-صالحة حتى للحظات الأخيرة... النشوة الحقيقية خطيرة؛ تشبه المرحلة الأخيرة من مسارة العجائب المصرية، حيث عبارة :«أوزيريس لغز أسود» تعوض المعرفة الجلية والنهائية. بعبارة أخرى يظل المطلق قائما كما هو مستحيل النفاذ إليه. لست أجد في نشوة الجذور الأخيرة غير شكل من أشكال الجنون وليس المعرفة. ولا يمكن خوض هذه التجربة إلا خلال العزلة، والتي تمنحك انطباع التحليق فوق العالم. أليست العزلة إذا هي الميدان المناسب للجنون؟ أليس من المميز أن الجنون لا يحدث إلا عند الشخص الأشد ارتيابية؟ ألا تظهر نشوة الجنون بشكل جلي من خلال الحضور الأغرب لليقينيات والرؤيا الأكثر جوهرية القائمة على الريبة واليأس؟

لا أحد في الحقيقة بإمكانه إدراك الحالة الانتشائية دون تجربة مسبقة في اليأس، ذلك لأنهما الاثنان يتضمنان عمليات تطهير،

واللذان رغم الاختلاف في المحتوى، فهما بنفس الأهمية .

جذور الميتفيزيقا أشدّ تعقيدًا من جذور الوجود .

عالمٌ حيث لا شيءَ مُصَمَّمٌ فيه

هل بقيَ على هذه الأرض ما لم ينج من الريبة باستثناء الموت - الشيء الوحيد المؤكد؟ مواصلة الحياة في ريبة من كلّ شيء- هذه مفارقة لم تعد تراجيدية بما أنّ الرّيبة أقل تكثفا، أقلّ استدلالا من اليأس. وما هو متداول هو الريبة الذهنية، حيث ينخرط جزء فقط من الذات، عكس اليأس حيث تكون المشاركة كلّها عضوية. ولع مّا، شيء ما سطحي يميز الارتياب عن اليأس، هذي الظاهرة شديدة الغرابة والتعقيد. لقد أصبت كثيرا في الارتياب من كل شيء، ومواجهة العالم بابتسامة احتقار، لن يمنعني هذا من الأكل، من النوم مرتاحًا أو من الزواج. خلال اليأس حين لا نُمسك بعمقه إلا عندما نحياه، ليست هذه الحركات ممكنة إلا بتوفير الكثير من الجهد والألم .

لا أحد له الحق في النوم على مرتفعات اليأس .

هكذا لن ينسى يائس أصيل أبدًا شيئا من تراجيديته: يحتفظ ألمه بالحادثة الأليمة لتعاسته الذاتية. الارتياب حيرة ذات صلة بالمشاكل والأشياء، وتصدر عن طبيعة شديدة التعقيد بسؤالها الهائل. لو كان

من الممكن حل المشاكل الجوهرية لعاد الارتيابي إلى حالته الطبيعية العادية. ما الفرق إذا بينه وبين اليائس، أن لا يجعله حلّ كل المشاكل أقل حيرة، لأن حيرته صماء إزاء بنية ذاته نفسها. الاكتئاب ملازم للوجود في اليأس. ليست المشاكل هي السبب إذا، لكنها اختلاجات والتهابات داخلية تمارس التنكيل. يمكن أن نأسف لعدم تصميم أي شيء هنا في الأسفل؛ وفي المقابل لا أحد انتحر لهذا السبب. تأثير الحيرة الفلسفية أقل بكثير من الحيرة الشاملة للذات. أفضل ألف مرة وجودا دراميا، مربكا بسبب مصيره، خاضعا لتعذيب الشعلات الأشد حرقا، على الإنسان المجرد الموجوع بأسئلة ليست أقلّ تجريدية ولا تُعِلُّه إلا على مستوى السطح. أحتقر غياب المخاطرة، الجنون والشغف. وفي المقابل كم قد تُخْصِب فكرة حية شغوفة مترعة بالوجدانية!

كم هو دراماتيكي ومهم التّمشي الذي من خلاله تندفع الذهنيات قلقة في البداية بسبب مشاكلها المعرفية واللافردية اساسًا، ذهنيات موضوعيّة إلى درجة نسيان نفسها ما أن يفاجئها المرض والألم، تندفع للتفكير بصرامة في ذاتيتها، وفي التجارب التي ستواجهها! لن يعثر الموضوعيون والنشطون في دواخلهم على منابع كافية لجعل مصيرهم مشكلة. حتى يتحول هذا الأخير ذاتيا وكونيا في نفس الوقت، يجب النزول واحدة بواحدة، كل درجات الجحيم الداخلي. طالما لم يتم اختزالنا إلى رماد، يمكن جعل الفلسفة وجدانية - فلسفة حيث للفكرة جذور أعمق من الشعر. نصعد وقتها إلى شكل أرقى من

الوجود حيث العالم ومشاكله المعقدة لا يمكن التعامل معه باحتقار. ليست إطلاقا مسألة سمو ولا القيمة المميزة للفرد؛ يحدث ببساطة أنه خارج احتضارك الشخصي لا شيء سوف يعنيك.

تناقض وعدم اتساق

لم يكن ارتياب النسق والوحدة ولن يكون اطلاقا نصيب أولئك الذين يكتبون في لحظات الإلهام، حيث الفكرة تعبير عضوي خاضع لنزوات الأعصاب. وحدة منسجمة، والبحث عن نسق متسق كل هذا يشير إلى حياة شخصية فقيرة في منابعها، حياة خطية، شاحبة حيث ينعدم التناقض، المجانية، المفارقة. وحدها التعارضات الجوهرية والتناقضات الداخلية شاهدة على حياة ذهنية خصبة، فهي وحدها التي توفر للتدفق والانسياب الداخلي امكانية إنجاز شيء ما. أولئك الذين ليس لهم إلا القليل من حالات النفس المتقلبة ويجهلون تجربة التخوم ليس بإمكانهم أن يناقضوا أنفسهم بما أن نزوعاتهم مختزلة فلا يمكنها أن تتعارض. أما أولئك الذين في الشق المقابل يشعرون بالكراهية بشكل مكثف، باليأس، بالفوضى، بالعدم أو الحب، وكل تجربة تلتهم منهم وتدفع بهم نحو الموت؛ أولئك الذين لا يستطيعون التنفس بعيدا عن المرتفعات والذين هم دائما وحدهم وحتى عندما يكونون محاطين بالآخرين كيف يمكنهم متابعة تطور خطي ضمن النسق؟كل ما هو شكل، مقولة، مخطط أو تخطيط يصدر

عن ضحالة في المحتويات، عن عوز في الطاقة الداخلية، عقم في الحياة الذهنية. فالتوترات الكبرى لهذي الأخيرة تفتح على الفوضى، على إثارة مجاورة للجنون. ليس هناك من حياة ذهنية خصبة لا تدرك حالات فوضى وغليانات مرض في ذروته، حيث يظهر الإلهام كشرط أساسي للخلق، والتناقضات كما لو أنها تجليات الحرارة الداخلية. فليس مبدعًا كلّ من يقلّل من قيمة حالات الفوضى الدّاخلية، كلّ من يحتقر الحالات المرضية ليس مؤهلًا للحديث عن الذهن. لا شيء له قيمة إلا ما يتدفق من الإلهام، من أعماق اللامعقول في ذواتنا، ما يتدفق من المركز الأساسي لذاتيتنا. كلّ منتوج استثنائي للاستبسال والعمل هو خال من القيمة، كما هو الحال مع كل منتوج استثنائي للذكاء، عقيم وعديم الأهمية. في المقابل يبهجني مشهد الحماسة البربرية والعفوية للإلهام، غليانات الحالات النفسية، الوجدانية الجوهرية وكل ما هو توتر داخلي. كلّ ماهو مصدر الهام هو الحقيقة الحيوية في مجال الإبداع .

حول الحزن

لمّا كانت المالیناخولیا حالة حلمية متفشية لا تفتح اطلاقا على العمق أو التركيز المكثف، فالحزن يمثّل في المقابل عودة جادة إلى النفس واستبطان مؤلم. لا يُمكن للمرء أن يكون حزينا في أي مكان؛ فبينما تُفضِّل مالنخوليا الفضاءات المفتوحة، فالفضاءات المغلقة تضاعف الحزن. فالوعي يتأتّى بالنسبة إلى هذا الأخير من وجود سبب له دائما، في حين إن مالنخوليا لا يمكنها أن تعزو أن تنتمي إلى محدد خارجي للوعي. إنّني أدرك جيّدًا لماذا أنا حزين وفي المقابل لا أعرف لماذا أنا مالينخولي. تتمطط الحالات المالیناخولية في الزمن من دون أن تظفر بأي كثافة مميزة .

لا الحزن ولا المالیناخولیا ينفجران، فلا واحد منهما يصيب الفرد إلى درجة تزعزع أسس ذاته. عادة ما يجري الحديث عن تنهدات، لكن ليس هناك حديث عن صراخات الحزن. فهذا الأخير ليس تجاوزا، بل هو حالة تنطفئ وتموت. فا الذي يميزها بصفة دالة جدا هو كثرة ظهورها إثر بعض النوبات. لماذا يلي الوهنُ فعل الجنس؟ لماذا يتملك الحزن بنا بعد ثمالة رائعة أو تهور ديونيزي؟ لأن الحيوية

المبذولة في هذه التجاوزات لا تترك خلفها سوى الشعور بما لن يتم إصلاحه وحس الضياع والتيه، مميزا بكثافة سلبية شديدة. نحن حزانى إثر إتمام بعض المشاريع لأنّنا نشعر بالخسارة عوض احساس الظفر. ينبع الحزن عندما تتشتت الحياة، كثافتها معادلة لأهمية الخسائر، هل هو أيضا الشعور بالموت ما يثير الحزن الأكبر. عنصر كاسف يميز الماليناخوليا عن الحزن: لن نصف جنازة بماليناخولية. ليس للحزن أي طبيعة استطيقية وهو نادرا ما يغيب عن الماليناخوليا. من المهم ملاحظة كيف أنّ المجال الاستطيقي كلما اقتربنا منه يُضيِّق التجارب والحقائق الجوهرية. ينفي الموت الاستطيقي ونفس الشيء بالنسبة إلى الألم والحزن. الموت والجمال، مفهومان ينفيان بعضهما بشكل متواز.... لذلك لا أعرف ما هو أشدّ خطرًا ولا شؤما من الموت! ما الذي جعل الشعراء يجدونه جميلًا ويمجدونه؟ هو يمثل القيمة المطلقة للسلبية. هكذا يدعونا التهكم للخشية منه وعبادته. أعترف أنّ سلبيته تلهمني عشقه؛ ورغم ذلك فهو الشيء الوحيد الذي يجعلني أعشقه دون أن أحبه. يتملك بي كِبر الموت ولا نهايته، غير أنّ يأسي الممتد بلا حدود يمنعني من ذلك إلى حدّ الترّجي. كيف نحب الموت ؟ لا يمكن الحديث عنه إلّا من خلال المفارقة. من ذا الذي يزعم أنّ لديه عنه فكرة دقيقة تؤكد أنّهُ لا يملكُ شعورًا عميقًا في داخله تجاهه. إذا فكلّ شخص يحمل في ذاته ليس حياته الخاصة فحسب، بل وموته أيضا .

من الممكن قراءة الكثير من العزلة والتوهان على الوجه المصاب

بحزن مكثف إلى درجة أن نتساءل ألا يمثل مظهر الحزن شكل الموت حين يصبح موضوعيا. يفتح الحزن بابا على العجيب. وبما أنّ هذا الأخير شديد الغنى فالحزن لن يكفّ على أن يكون ملغزا. وإذا ما رسمنا سلّما لكل ما هو عجيب. فالحزن هو ضمن أصناف العجيب الذي لا حدود له، لا ينضب أبدا .

هناك حقيقة ثابتة لا بدّ لي ولأسفي الكبير أن أتحقق منها في كل لحظة :الذين لا يفكرون أبدًا هم السعداء. بعبارة أخرى، الذين لا يجهدون أنفسهم في التفكير كثيرًا إلا من أجل الأشياء الضرورية للحياة. أمّا التفكير الحقيقي فمثله مثل شيطان يعكر منابع الحياة الصافية، أو هو شبيه بمرض يصيب الجذور ذاتها. التفكير في كل لحظة، معالجة الإشكاليات الجوهرية بشكل دقيق والهجس بريبة مستمرة بخصوص المصير، الشعور بالتعب من الحياة، الشعور بالإنهاك من التفكير ومن وجوده، ترك كمية من الدم والزبل خلف الذات كما لو أنها رمز الدراما وموت هذه الذات. هذا ما يعني أنك تعيس إلى درجة أنّ مسألة التفكير تثير فيك الرغبة بالتقيؤ ويبدو لك ردّ الفعل كما لو أنه لعنة. أشياء كثيرة تستحق أن نندم عليها في عالم حيث لا يجب أن نندم فيه على أيّ شيء. لذلك هل يستحق هذا العالم أن ندمي عليه .

عدم الرضى الكلي

بسبب أي لعنة يشعر بعضهم أنهم غير مرتاحين على الإطلاق في أي مكان كان؟ لا تحت الشمس، لا مع الآخرين ولا بدونهم .. نسيان المزاج الجيد، هذا أمر مُخيِّب جدا. أشدّ الناس تعاسة أولئك الذين لا حق لهم في اللاوعي.

امتلاك وعي يقظ دائما، فذلك يعني إعادة تعريف الصلة بالعالم دون توقف، يعني أيضا الإقامة الأبدية في توتر المعرفة، وهو ما يعني كذلك الضياع في الحياة. المعرفة آفة، والوعي جرح مفتوح في قلب الحياة. ألا يحيا الإنسان تراجيديا حيوان غير راض دوما، معلق بين الموت والحياة؟ تزعجني بعمق صفتي كإنسان. لو كان في استطاعتي لتخليت عن ذلك حالا؛ ماذا عساي أن أكون وقتها؟ حيوان؟ خطوة ممكنة للخلف. علاوة على أنني أخشى أن أكون حياة في متداول تاريخ الفلسفة. أن أكون ما فوق إنسان فهذا يبدو لي مستحيلا، حماقة، استيهامًا مثيرًا للضحك .

ألا يكمن الحل- الأقرب- في شكل من أشكال الوعي الأعلى؟ ألا يمكننا أن نحيا فيما وراء (وليس بجانب، بمعنى البهيمية) كلّ

الأشكال المعقدة للوعي، للعذابات والاكتآبات، الاضطرابات العصبية والتجارب الذهنية، في فلك الوجود حيث يكفُّ الولوج إلى الخلود عن كونه مجرد اسطورة بسيطة؟ وأما فيما يخصني فإني أستقيل من الانسانية : لا أستطيع، لا أريد أن أظل إنسانًا. ما الذي تبقى لي لإنجازه كإنسان. خدمة منظومة اجتماعية وسياسية أو أيضا القيام بدور الفتاة البائسة؟ معاينة تناقضات مختلف الأنساق الفلسفية أو أشغل نفسي بتحقيق خلق مثالي وجمالي؟ يبدو لي كلّ هذا مسخرة :لا شيء يغريني. أتخلّى عن صفتي كإنسان، في مجازفة أن أجدني وحدي على السلم الذي أريد أن أتسلّقه. ألست أصلا وحيدا في هذا العالم الذي لا أنتظر منه شيئا؟ قد يوفر الوعي الأعلى فضاء يمكن التنفس فيه فيما بعد الأمنيات والمثاليات المألوفة. ثملا بالخلود، سوف أنسى تفاهة هذا العالم؛ لا شيء يمكنه أن يعكّر صفو نشوة الكائن حيثُ يكون أكثر صفاء من اللاكائن ويتجرّد من مادّيته .

حمام النار

لبلوغ مرتبة الإحساس بالتجريدية، توجد عدة مسالك إلى درجة أنّ محاولة ترتيبها هي مجرد مصادفة إن لم تكن مستحيلة. كلّ واحد منّا يتخذ له مسلكًا مختلفا حسب مزاجه. من جهتي أرى أن حمام النار هو بمثابة المحاولة الأكثر اخصابا. الإحساس بالحريق في كلّ داخله، حرارة مطلقة، الشعور بلهب ملتهم يتدفق في داخله، فلا يكون المرء سوى بريقًا وتوهجا - هذا هو المقصود بحمام النار. هكذا يكتمل تطَهُّرٌ من شأنه أن يلغي الوجود ذاته .

ألن تخرّب موجات الحرارة واللّهب مركزه الأساسي، ألن تنخر الحياة، وتختزل الحيوية بتحويلها إلى أمنية بسيطة، حين تنزع عنها كلّ صفة عدوانية؟ أن يجرب المرء حمام نار، فيتحمل تقلبات حرارة داخلية مشتدة - ألا يعني ذلك بلوغ صفاوة لا مادية، شبيهة برقصة اللّهب؟ ألايجعل تخفيض الثقل بواسطة حمام النار هذا الحياة وهمًا أو حلما؟ وطبعا هذا أفضل لو تمّت مقارنته بالاحساس النّهائي- وياللمفارقة-حيث الشعور باللاواقعية الحلمية يفسح المجال للشعور بتحوّل الذات إلى رماد. وهذي الأخيرة تتوّج حتما أي حمام نار

داخلي. بالإمكان وقتها الحديث بحق عن اللامادية. أن يكون المرء محترقًا لآخر درجة بلهيبه، محرومًا من أيّ وجود ذاتي، مُتحَوِّلا إلى كدس رماد، كيف سيمكنه إذا الشعور بالحياة؟ تستولي عليَّ شهوانية مجنونة ذي طابع تهكمي لا محدود حين أتخيل رمادي منتشرا في الجهات الأربع من الأرض،تنفخ فيه الرياح بجنون، تبعثرني في الفضاء كما لو أني تحذير دائم مُوجه إلى هذا العالم.

التفسخ

لم يضيّع أحد من النّاس سذاجته ولهذا ليسَ ثمّة من هو تعيس في هذا العالم. أولئك الذين عاشوا ومازالوا يستمرون في العيش ملتصقين بوجودهم، ليس غباوة، بل من خلال حب غريزي للعالم، هؤلاء أدركوا الهارمونية، أدركوا اندماجا في حياة لا يمكن أن يحسدها عليهم إلا من ظل ملازمًا تخوم اليأس. يشبه التفسخ الفقدان الكامل للسذاجة، هذي الموهبة التي دمرتها المعرفة، العدو الحقيقي للحياة، الافتتان بالسحر التلقائي للكائن، التجربة اللاواعية بالمتناقضات التي تفقد ضمنيا تراجيديتها - هذه تعبيرات السذاجة، أرض خصبة للحب والفرح. عدم مكابدة المتناقضات بشكل موجع، يعني بلوغ البهجة البكر للبراءة، البقاء مغلقا أمام التراجيديا والإحساس بالموت. عصية السذاجة على ما هو تراجيدي، لكنها مفتوحة على الحب، لأن الساذج - لم تُضنه دواخلهُ - يمتلك المنابع الأساسية ليكرس نفسه لذلك .

بالنسبة إلى المتفسخ، يكتسب داخله التراجيدي كثافة قاسية جدا؛ ذلك أنّ المتناقضات لا تتدخل في مكوّنات ذاته فقط بل أيضا بينه

وبين العالم. هناك موقفان فقط أساسيان: الساذج والبطولي؛ وما تبقّى هو مجرد تنويع في الملامح. هذا هو الاختيار الوحيد الممكن إذا لم نكن نريد أن تداهمنا الغباوة. فالسذاجة، إذا، هي هذا الخير الضائع والذي يستحيل استعادته بالنسبة إلى الإنسان الذي يواجه هذا التناوب، ويظل البطولي فقط قائمًا. الموقف البطولي هو امتياز ولعنة المتفسخين، المعلقين، المتروكين لحساب السعادة والرضا. أن تكون بطلا -في المعنى الأشد كونية - يعني الرغبة في مجد مطلق لا يمكن نيله إلا بالموت. فكل بطولة هي إذا بطولة العدم، حتى وإن كان البطل غير واع بذلك، وهو غير مدرك أنّ حيويته تصدر عن حياة مسلوبة من طبيعتها المعتادة. كل ما لم يولد من السذاجة ولا يأخذ إليها ينتمي إلى العدم. فهل يحقق هذا الأخير جاذبية حقيقية؟ وفي هذه الحال تتوفر السذاجة على عجائب كثيرة للوعي بها.

حول واقع الجسد

لن أفهم إطلاقا كيف أمكن تصنيف الجسد بالوهم، كما لم أفهم كيف أمكن تصور الذهن خارج دراما الحياة، تناقضاتها ونقائصها. وبالتأكيد، هنا ،عدم الوعي باللّحم والأعصاب وبكل عضو. يظل كلّ هذا بالنسبة إلي غير مفهوم رغم أنني أشكّ أنّ اللاوعي هو الشرط الأساسي للسعادة. أولئك الذين يظلون مشدودين إلى لا واقعية الحياة مستعدين بإيقاعها العضوي السابق لظهور الوعي، لا يعرفون أنّ الحقيقة الجسدية حاضرة هي أيضا بشكل متأكد. وفعلا فإن هذا الحضور يعني مرضًا أساسيًا للحياة. ذلك أن المرض لا يعني الاحساس الدائم بالساقين، المعدة، القلب، الخ. الشعور بأدق أجزاء الجسد؟ واقع الجسد من أشدّ الأشياء رعبًا. كيف يكون الذهن من دون أوجاع اللحم، حين يكون الوعي بمنأى عن حساسية الأعصاب العظيمة. كيف يمكن تصوّر الحياة في غياب الجسد، كيف يمكن إدراك وجود مستقل وأصيل للذهن؟ لأنّ الذهن هو ثمرة إفساد للحياة، تماما كما أن الإنسان ليس إلا حيوانًا غدر بأصوله. وجود الذهن مسخ للحياة. لم لا أتخلّى عن الذهن؟ لكن ألن يعني هذا

التخلي مرض الذهن، قبل أن يكون مرض الحياة؟

لا أعرف ما هو خير وما هو شر؛ ما هو جائز وما ليس كذلك؛ لا أستطيع لا المدح ولا الذم. لا وجود في هذا العالم لمعيار ولا مبدأ ثابت. تفاجأت أن هناك من مازال يهتم بنظرية المعرفة. لأكون صادقًا، فأنا غير معني بنسبية معرفتنا فهذا العالم لا يستحق أن نعرفه. عندي أحيانًا هذا الإحساس بمعرفة كاملة أتت على كل ما في العالم، وأحيانا أخرى لا أفهم إطلاقا ما يدور من حولي. أحس بطعم حرِّيف، مرارة شيطانية وحيوانية، يجعلان من موضوع الموت يبدو لي باهتا. أدركت لأول مرة كم أنه من الصعب تعريف هذه المرارة. ربما يتأتَّى هذا أيضامن فرضيّة أنّني أضيِّع وقتي في البحث عن منابع ذات طابع نظري، بينما هي تصدر عن منطقة ما قبل نظرية للغاية .

لا أؤمنُ في هذه الآونة بأيّ شيء وليس لي أيّ أمل. كلّ ما يجعل من الحياة جميلة يبدو لي فارغا من المعنى. لا أملك لا الإحساس بالماضى ولا ذلك المتعلق بالحاضر؛ لا يبدو هذا الحاضر إلا بوصفه سمًّا. لا أعرف إن كنت يائسا، فغياب أي أمل لا يعني اليأس. ليس هناك أي نعت يمكن وصفي به، فليس لي ما أخسره. ويا لها من مصادفة لقد خسرت كلّ شيء في الوقت الذي يستفيق فيه كلّ شيء من حولي. كم أنا بعيد عن كل شيء !

عزلة فردية وعزلة كونية

يمكن أن نتصور طريقتين لاختبار العزلة: الإحساس بأنك وحدك في هذا العالم أو الشّعور بعزلة العالم. من يشعر أنه وحده يعيش محض دراما فردية-يمكن أن يحدث الإحساس بالاهمال في الإطار الطبيعي الأشد بهاء. أن يُلقى بك في هذا العالم، عاجزا عن التأقلم معه، مُهدَّما بنقائصك الذاتية وحماساتك، غير مبال بالأنواع الخارجية - مهما كانت معتمة أو برّاقة - لتظل مشدودا إلى تلك الدراما الداخلية؛ فهذا ما يعني العزلة الفردية. لكن الاحساس بالعزلة الكونية يصدر عن محض وجع ذاتي أقل من الإحساس بضياع هذا العالم، والإحساس بالعدم المنطقي. كما لو أنّ العالم قد فقدَ فجأة كلّ بريق له ليستدعي الرتابة الأساسية لمقبرة. كثيرون عُذِّبوا لرؤية الكون متروكًا لا سبيل لتعافيه منذورًا لعزلة جليدية، لن تبلغه مجرد انعكاسات شاحبة لوميض الغسق. من بينهم هؤلاء الأشد تعاسة :أولئك الذين يشعرون بالعزلة في داخلهم أم أولئك الذين يحسون بها من الخارج؟ تستحيل الإجابة. ثمّ لماذا انا متحيّر جدًّا من أجل احداث تراتبية في العزلة؟ ألا يكفي أنّني وحيد؟

أؤكد هنا لفائدة من سيأتون من بعدي ليس لي أي شيء يجعلني أعتقدُ أنّ الخلاص على هذه الأرض يكمن في النسيان. كم أحبّ أن أنسى، أنساني وأنسى العالم بأكمله. الاعترافات الحقيقية لا يمكن كتابتها إلا بالدموع. غير أنّ دموعي سوف تكفي لاغراق هذا العالم مثلَ ناري الداخلية التي تحرقني. لا أحتاج إلى أيّ دعم، ولا إلى أي تشجيع أو رأفة، فاشل جدا كما أنا، أشعر أنني قوي، قاس، شرس!فأنا فعلا الإنسان الوحيد الذي يعيش بلا أمل. فهنا أعلى قمة البطولة، ذروتها ومفارقتها. الجنون المطلق! سأقوم بتصريف الشغف الفوضوي والمحافظ الذي يسكنني من أجل أن أنسى كلّ شيء، من أجل أن أكون لا شيء، أن أتخلّص من المعرفة والوعي. إن كان من الضروري أن يكون عندي أمل فسيكونُ في النسيان المطلق. لكن ألا يعني ذلك اليأس؟ ألا يمثل هذا «الأمل » نفي كل ترجٍّ؟ لم تعد بي رغبة لمعرفة أي شيء، حتى تلك الرغبة بعدم المعرفة. لم كل هذي الاشكاليات والنقاشات والانفعالات الحادة؟ لماذا مثل هذا الوعي بالموت؟ لتتوقف كلّ فلسفة وكل تفكير!

نهاية العالم

كم أحب لو أنّ كل النّاس المنشغلين أو المستثمرين في مهام، رجالا ونساء، شبابا وشيوخا، جادين أو سطحيين، مبتهجين أو حزانى، يتركون ذات يوم بهيج انشغالاتهم، رافضين القيام بأي واجب أو التزام للخروج للشارع والتوقف عن أي نشاط! هؤلاء الناس المخبولين الذين يشتغلون بلا سبب يتغرغرون في مساهماتهم من أجل خير هذا العالم، كادِّين من أجل الأجيال القادمة بتحريض من أشد الأوهام كارثية، يثأرون إذا من رداءة حياة عقيمة وباطلة، من التبذير العبثي للطاقة والذي لا يمت بأي صلة للتقدم الذهني. أتذوق هذه اللحظات حيث لا أحد يترك نفسه ينخدع بالمثالية أو يتم اغراؤه بأي ترضية تمنحها له الحياة، حيث أي خضوع هو موهوم، حيث تنفجر نهائيا أطر الحياة الطبيعية! كلّ أولئك الذين يتفجعون في صمت دونما أي جرأة منهم للتعبير عن شعورهم بالمرارة من خلال أقل تنهيدة، تصرخ وقتها في كورس نحس، حيث الصخب الهائل يزعزع الأرض كاملة. لتستطيع المياه أن تتدفق والجبال أن تهتز بشكل مرعب وتبرز الأشجار جذورها مثل انذار بشع دائم. على غرار

الغربان تنعب الطيور، مرتعبة تتسكع الحيوانات إلى حدّ الارهاق. وليتم التصريح بأنّ كلّ المثاليات باطلة؛ العقائد - ترهات؛ الفن - كذبة؛ والفلسفة - مسخرة. وليكن كلّ شيء ثورانا وانهيارا. وليتم اقتلاع أجزاء عظيمة من الأرض تُختزل في ذرة غبار؛ ولتؤلف النباتات تحت قبابها ارابيسك شاذ، تقلصات مضحكة، أشكال متغيرة ورهيبة. ولترتفع دوامات لهب في حماس وحشي واكتساح كل العالم كي يدرك أقل كائن أنّ النهاية اقتربت، وليكن كلّ شكل بلا شكل محدد ولتبتلع الفوضى في دوار كوني كل ما يمتلك في هذا الكون هيكلا وثباتا وليكن كل شيء صخب مختل، حشرجة ضخمة، رعب وانفجار، مشفوع بصمت لانهائي ونسيان تام. وليعش الناس في مثل هذي اللحظات الأخيرة في حرارة لم تشعر بها الانسانية قط في مجال الندم، الانجذاب، الحب، الكراهية واليأس تتشظى في داخلهم من خلال انفجار جارف مدمر. في اضطراب كهذا ،حيث لا أحد يعثر على معنى رداءة الواجب، حيث الوجود يتحلل تحت ضغط تناقضاته الداخلية، ما الذي سوف يتبقى عدا مجد اللاشيء وتأليه اللاكينونة؟

احتكار الألم

أتساءل لماذا لا يُرهق الألم إلا قلة من الناس.هل من داع لهذا الانتقاء الذي يعزل، من خلال الأفراد العاديين فئة من المصطفين مخصصين للعذابات الأشد رعبا؟ تؤكد بعض الديانات إن الألم هو وسيلة تعتمدها الألوهية لاختبار الناس أو للتكفير عن ذنب. قد يحظى هذا التصور بمكانة هامة عند المؤمن، لكن الذي يرى الألم يصفع الخلَّص كما الأبرياء لن ينطلي عليه هذا التصوّر. لا شيء يمكن أن يبرّر الألم، بل ومن المستحيل السعي لتأسيسه وفق تراتبية قيمية، إذا ما افترضنا وجود تراتبية من هذا القبيل .

يكمن الجانب الأشد غرابة عند المتألمين في اعتقادهم بمطلق عذابهم، بما يمنحهم الشعور بحق احتكاره. عندي انطباع جلي أنّني تحمّلت في داخلي كلّ آلام العالم ولي حق التلذذ الاستثنائي بها، وهذا، رغم قناعتي بوجود آلام أخرى أشدّ شراسة إلى درجة يمكن الموت بفقدان مزق من اللحم، أن أتفتت بمرأى مني؛ آلام وحشية، جرائمية، لا تُغتفر. نتساءل كيف يمكن لها أن تحدث، وبما أنها حدثت، هل مازال من الممكن الحديث عن خاتمة وهذيانات أخرى.

يؤثر فيَّ الألم إلى درجة أنه يفقدني أي شجاعة.

لا أستطيع فهم سبب وجود الألم في العالم؛ إنّهُ يُشْتَقّ من الحيوانية، من اللّاواقعية، من شيطنة الحياة، هذا ما يفسر حضوره، لكن لا يقدم تبريرا له. من الممكن إذا أنّه لا مبرر للألم، تماما كما أنّه ليس هناك من مبرر للوجود عمومًا. هل كان من الضروري وجود هذا الوجود؟ أو أن له مبرر مماثل تماما؟ أليس الكائن مجرد كائن؟ لم لا يجب الإيمان بمجد نهائي للاكائن؟ لم لا يجب التسليم بأن هذا الوجود يؤدي نحو العدم، والكائن نحو اللاكائن؟ ألا يمثل هذا الأخير الحقيقة المطلقة؟ هاهي مفارقة في حجم هذا العالم.

رغم أنّ الألم يؤثر فيَّ باعتباره ظاهرة بل ويُبهجني أحيانا، لن يكون في استطاعتي أن أكتب مديحا في شأنه، ذلك أنّ الألم المستمر- وكذلك هو الألم الحقيقي- كمُطَهِّر بما هو في مرحلته الأولى ينتهي أن يتعطل، ينهار، يتفكك. الحماس السهل للألم يُميز مُدَّعي الفن والانفعاليين، الذين يأخذونه كترفيه، جاهلين قوّته المرعبة في التفكيك ومنابعه المسمومة للتفتيت، جاهلين أيضا خصوبته، ودفع ثمنها غال جدا. امتلاك حق احتكار الألم يستدعي العيش في لُجَّة. كل ألم حقيقي هو ألم واحد.

معنى الانتحار

كم هم جبناء، أولئك الذين يدَّعون أنّ الانتحار إثبات على الحياة؟ يختلقون كلّ الأعذار من شأنها أن تبرّر ضعفهم وذلك لللتكفير عن قلة شجاعتهم. ليس هناك في الحقيقة عزيمة أو قرار منطقي للانتحار، هي فقط حتميات عضوية وحميمة تهيئ المرء له .

للمنتحرين ميل مرضي نحو الموت، يقاومونها فعلا لكن ليس بإمكانهم الغاؤها. لقد أدركت الحياة فيهم حدًّا من اللاتوازن إلى درجة أنّه لم يعد هناك أي مبرر ذي طبيعة واقعية بإمكانه دعمها. ليس هناك أي انتحار يصدر عن عطالة العالم أو عدمية الحياة. وأقول لمن يعترض على هذا الرأي ممن يستشهدون بأولئك الحكماء القدامى الذين انتحروا في عزلتهم، أقول ان هؤلاء قد قضوا في داخلهم على اقل قطعة من الحياة، دمروا في داخلهم أي بهجة للوجود، ومحوا أي إغراء. التفكير مطولا في الموت أو في مسائل أخرى مُكربة تصيب الحياة في منطقة موجعة شيئا ما، لكن ليس حقيقيا فمثل هذا العذاب لا ينال إلا من إنسان مصاب أصلا. فالناس لا ينتحرون لأسباب خارجية، بل بسبب اللاتوازن العضوي، الداخلي. ونفس الحقائق

تجعل البعض لامبالين، تمس آخرين، وتدفع آخرين إلى الانتحار. لبلوغ وسواس الانتحار، لا بدّ من الكثير من الوجع، والكثير من العذاب، انهيار هائل للحواجز الدّاخلية إلى درجة أنّ الحياة لا تعدو أن تكون سوى حركة كارثية، دوار عظيم، دوامة تراجيدية. كيف يمكن أن يكون الانتحار إثباتا على الحياة؟ تعوّدنا أن نردد أن هذا الشخص مستثار بالخيبات: ذلك يعني أنه يرغب في الحياة ويأمل منها أكثر مما تعودت أن تمنحه. أي جدلية مُخطئة هذه-كما لو أن المنتحر لم يعش قبل أن يموت، كما لو أنّه لم تكن عنده طموحات، ترجٍّ، ألم ويأس! وهو ما يضخُّ فكرة الانتحار بعدم الرغبة مطلقا في الحياة، هذه الفكرة المشتقة ليس من نزوة ولكن من التراجيديا الداخلية الأشد رعبًا. ويدَّعون أنّ عدم القدرة اطلاقا على الحياة، هو إثبات على الحياة؟ إنّني مستغرب من إصرار بعضهم على البحث عن تراتبية الانتحارات: ليس ثمة ما هو أغبى من الرّغبة في ترتيبها حسب نبل الأسباب أو وضاعتها.

ألا يكفي اقتناع الفرد من داخله بنزع الحياة عنه، دونما البحث عن أسباب؟ أشعر بحقد دفين تجاه أولئك الذين يهزؤون من الانتحار بسبب الحب، ذلك أنّهم غير قادرين على فهم أنَّ حبًّا مستحيلا، يمثل بالنسبة إلى العاشق استحالة تحديد نفسه، خسارة كاملة لكينونته. فلن يؤدي حب شامل، ظميء إلا إلى الانهيار .

هما، صنفان فقط من الناس يُظهران إعجابي:أولئك الذين

يستطيعون أن يكونوا مجانين في أي لحظة وأولئك القادرين على الانتحار في أي وقت. هؤلاء فقط بإمكانهم التأثير فيَّ، فهم وحدهم دون غيرهم يكابدون آلاما عظيمة ويعيشون تحولات كبرى. أما أولئك الذين يعيشون الحياة بطريقة ايجابية، بيقين كل لحظة، مزهويين بماضيهم، حاضرهم ومستقبلهم فليس لي أي تقدير نحوهم. وحدهم أولئك الذين هم على صلة مستمرة بالحقائق الأخيرة يؤثرون فيَّ بشكل بالغ حقيقي. لماذا لا أنتحر؟

لأن الموت تُقرفني أكثر من الحياة. ليس عندي أدنى فكرة عن سبب وجودي هنا على الأرض. أشعر في هذه اللحظة بحاجة قاهرة للصراخ، واطلاق صياح يزعزع الكون. أشعر أنّ زمجرة لا سابق لها بصدد التّصاعد في داخلي، وأتساءل لماذا لا تنفجر لتُفنِي هذا العالم، الذي سأبتلعه في عدمي. أشعر أنني الكائن الأشدّ فظاعة الذي أمكن أن يوجد في التاريخ، فظ رؤيوي طافح باللهب والظلمات .

أنا حيوان مفترس أصهب بابتسامة متنافرة، يتقلص ويتمدد بلا نهاية، يموت ويكبر في نفس الوقت، متحمس بين الأمل في اللاشيء واليأس من كلّ شيء، غذائي الأريج والسم، محترقا بالحب والكراهية، أبادتني الأنوار والظلال. رمزي هو موت النور وشعلة الموت. تنطفيء في داخلي أي شرارة لتولد رعدا من جديد وبرقا. ألا تشتعل الظلمات نفسها في داخلي؟

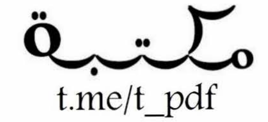
الغنائية المطلقة

أريد أن أتفجر، أتدفق، أتفكك، دماري تحفتي، ابتكاري، الهامي؛ أن اكتمل في التلاشي، أعلو في وثبة جنونية إلى ما وراء التخوم، وليكن موتي هو مجدي. أريد أن أذوب في العالم ويذوب العالم فيَّ، ولنضع في هذياننا معا حلما قياميًا، عجيبًا يشبه رؤيا النّهاية ورائعًا كما الغسق العظيم. ولتولد من نسيج حلمنا إشراقات مبهمة وظلال جذابة، وليلتهم حرق شامل هذا العالم وليحدث لهبه شهوات غسقية أشد تعقيدًا من الموت وجذابة كما العدم. لا بد من توترات مجنونة لتبلغ الغنائية تعبيرها الأسمى. الغنائية المطلقة، غنائية اللّحظات الأخيرة. حين يمتزج التعبير بالواقع كلّ شيء يتحول إلى تخثر الكائن. لا مجال لموضعة جزئية قاصرة وغير كاشفة، بل قطعة مندمجة من ذاتك نفسها. يصبح لا قيمة للذكاء والاحساس ولكن للكائن أيضا، للجسد بأكمله، كل حياة الإنسان بإيقاعه ونبضاته. ليست الغنائية الشاملة إلا المصير محمولا إلى الدرجة الأعلى من معرفة الذات. كل تعبيرة فيها هي قطعة من الإنسان. أليس بسبب ذلك لا نعثر عليها إلا في اللحضات الجوهرية، حين تفنى الحالات المُعبَّر عنها في نفس وقت

فناء التعبير نفسه، كما هو الحال مع شعور الاحتضار والظاهرة المعقدة للموت. يتطابق الفعل والواقع: لم يعد الأوّل مجرد تمظهر للثاني ولكنه هو نفسه. تتموقع الغنائية، كما لو أنها منزع نحو الموضعة الذاتية، أبعد من الشعر، خلف النّزعة العاطفية، الخ. تقترب أكثر من ميتفيزيقيا المصير، على قدر ما يتوفر فيها من فعلية تامة للحياة والمحتوى الأبلغ عمقًا للذات في بحثها عن خاتمة. تتجه الغنائية المطلقة بصفة عامة نحو حل كل شيء يتعلّق بمعنى الموت. فكل ما هو أساسي لديه صلة بالموت.

إحساس بالغموض المطلق ! عدم القدرة على أي تفرقة. عدم القدرة على تحديد أي شيء بوضوح، عدم فهم أي شيء... هذا الإحساس يجعل من الفيلسوف شاعرًا. لن يستطيع معرفته وقتها جميع الفلاسفة ولن يستطيعوا عيشها بكثافة متواصلة. هل سيدركون أنهم لن يستطيعوا التفلسف بشكل تجريدي وقاس. تحوّل الفيلسوف إلى شاعر هو تمش دراماتيكي بشكل أساسي. من قمة عالم المفردات الحاسمة للروح التي تتخاصر من أجل استيلاد أبنية عجيبة وفوضوية. كيف يمكن التفرغ لفلسفة تجريدية ما وأن يحس الفيلسوف في داخله تتابع دراما معقدة يمتزج فيها الاستشعار الايروتيكي بحيرة ميتافيزيقية ممزِّقة، الخوف من الموت بالانجذاب نحو البساطة، التخلِّي الكامل بالبطولة المفارقة، اليأس بالكبرياء، استشعار الجنون بالرغبة المخفية، الصراخ بالصمت، الحماسة بالعدم؟ بل وما هو أكثر، إذ تختلط هذي الميولات وتتصاعد في شكل اضطراب عال وجنون داخلي، إلى درجة الغموض الكلي. يقصي كل

هذا أي فلسفة نسقية، أي تشييد دقيق. كم من ذهنيات انطلقت من عالم الأشكال لتنتهي عند الغموض. لكن ألن يمكّنهم التفلسف من الامساك بشكل آخر خارج الأسلوب الشعري. لكن عند هذه الدرجة من الغموض، وحدها العذابات وشهوات الجنون لها قيمة.



ماهية اللطافة

كثيرة هي الحيل التي سوف تنتزعنا من افتتان تجاوز تعلقنا الأعمى بالحياة؛ غير أنّ اللّطافة وحدها تحقّق انفصالا لا يقطع العقد مع القوى اللاواقعية للوجود، لأنها قفزة معطلة، حماس غير معني، حيث السحر البسيط والإيقاع المضطرب للحياة يحافظان على نضارتهما.

كل لطافة هي طيران وشهوة للارتفاع.

تعطي الحركات اللطيفة في انتشارها انطباعا بطيران يحلق فوق العالم، خفيفا ولا ماديا. لتلقائيتها رقة رفيف أجنحة، الطبيعي في ابتسامة والصفي في حلم ربيعي. أليس للرقص التعبير الأكثر حيوية للطافة؟

الشعور بالحياة الذي تمنحه اللطافة يجعل منها توترا لا ماديا، تدفقا لحيوية نقية لن تتجاوز أبدا الهارمونية الملازمة لكل ايقاع ناعم. كما لو أنّها حلم بالحياة تلفُّهُ اللطافة، لعبة مجانية، تمدد يجد حدوده في داخلها نفسها. ألا تمنح أيضا الوهم المستحب بالحرية، بالتخلّي

المباشر والتلقائي، بالحلم النظيف الذي يغزوه النور. أمّا اليأس فهو يمثل ذروة الفردانية، استبطان موجع ومتفرد، عزل على المرتفعات. كل الحالات التي تنتج عن قطيعة وتأخذ المرء إلى قمم العزلة تكثف الفردانية وتدفعها نحو ذروتها .

عكس اللّطافة التي تؤدي إلى احساس هارموني، إلى اكتمال بسيط ما يقصي الاحساس بالعزل. هي تخلق حالة وهم، حيثُ تنفي الحياة تناقضاتها وجدليتها الشيطانية وتتجاوزهما، حيث تمّحي تدريجيا المتنافرات وما لا يمكن اصلاحه والكارثة تترك مكانها لوجود مُصعَّدٍ. ولن يبلغ التسامي والصفاء بما هما أبرز مظاهر غنى اللطافة، لن يبلغا أبدا التطهيرات الكبرى للمرتفعات حيث يكتمل الأسمى. لن تحمل التجارب المألوفة الحياة إلى درجة التكثف الذهاني، إلى درجة الدوخة الداخلية فهي لن تنعتق من الثقل ولن تنتصر علي- ولو أنّ ذلك يحدث أحيانا بشكل مؤقت-الجاذبية بما هي رمز الموت. بينما تمثل اللطافة انتصارا على قوى ضغط جاذبية ما تحت الأرض، غزوة المخالب الحيوانية، الميولات الشيطانية للحياة ومنازعها السلبية .

لن نستغرب إطلاقا إذا ما بدت الحياة أكثر نورا مكسوة برداء متألق. متجاوزة الشيطاني والسلبي في اتجاه هارمونية قطعية، تلج الذوات الطيبة أسرع مما تفعله المسالك المعقدة للعقيدة، حيث لا تتدخل هذي الأخيرة إلا من باب المتناقضات والآلام. أيّ تنوع في هذا العالم! ويتقولون إنّه إلى جانب اللّطافة هناك خوف دائم يقرض

المرء إلى درجة انهاكه... من لم يجرّب الخوف من كلّ شيء، من رعب العالم، من الاكتئاب الكوني، من الحيرة المستبدة، من عذابات كل لحظة. فهذا الأخير لن يدرك اطلاقا معنى التوتر الجسدي، عته اللحم وجنون الموت.يتدفق كل ما هو عميق من المرضِ؛ كل ما لا يصدر عنه ليس له أيّ قيمة جمالية ولا شكلية. أن تكون مريضا، أحببت أم كرهت هو أن تحيا على المرتفعات. ولا تعني هذي الأخيرة العلو لكن تعني أيضا الهاويات والأعماق، ليس هناك من أعماق إلا ما هو سحيق لأنه لا يمكن أن نقع فيها عند كل لحظة. إذا، هذي السّقطات تسمح بالضبط ببلوغ القمم. بينما اللّطافة من جانبها تمثل حالة الفرح إن لم تكن السعادة :لا هلاك ولا أوجاع كبيرة. لماذا النساء أسعد من الرجال، ليس إلا لأن اللطافة والبساطة دون أي مجال للمقارنة دائمة عندهنّ؟ من المؤكد أنّهن لن يفلتن من الأمراض وحالات عدم الرّضا، لكن لطافتهن البسيطة تمنحهن توازنا سطحيا لن ينفتح على التوترات الخطيرة. لا تخشى المرأة شيئا على المستوى الذهني، لأن تعارض الحياة والذهن عندها أقلّ توترا مما عند الرجل. الاحساس اللطيف بالوجود لا يؤدي اطلاقا إلى الكشوفات الميتافيزيقية، إلى آفاق اللّحظات الأخيرة ولا إلى رؤيا الحقائق الجوهرية، هذي الأشياء التي تجعلك تعيش كما لو أنّك لم تحيا اطلاقا. النساء تحذف:كلما ازددنا التفكير في هذه المسائل قل فهمنا لها. تطور مشابه لمن يختزلك في الصمت بشرط أن تفكر في الجوهر الكلي للعالم. لكن بما أنّك تظل في هذه الحالة مدهوشا قدام لانهائي غير واضح، سوف يبدو لك فراغ

المرأة شبيها بسر خفي. للمرأة مهمة انقاذ الرجل من ضغط التعذيب الذهني؛ من الممكن أن تكون خلاصا. فإن لم تنقذ اللطافة العالم يكفي أنّها انقذت المرأة .

ابتذال الرأفة

كيف يمكن أن يكون على هذه الأرض مثل عليا بينما يوجد صمٌّ، عميان، أو مجانين؟ كيف يمكنني أن أستمتع بيومي إن كان هناك من لا يستطيع رؤيتي أو الاستماع إليَّ؟ أشعر أنني مسؤول على ظلمات الجميع وأعتبر نفسي سارق النور. ألسنا نحن في الحقيقة من اختلسنا النّهار ممن لا يبصرون والصوت ممن لا يسمعون؟ أليس وضوحنا متهم بظلمات المجانين؟ من دون معرفة لماذا، حين أفكر في هذه الأشياء أفقد كلّ شجاعة وكل عزيمة؛ يبدو لي التفكير عاطل ولا طائل من وراء الرأفة. لا أشعر بأنني طبيعي بالقدر الكافي لأشفق على أيّ كان. الرأفة علامة تسطح: المصائر المكسورة والتعاسات التي لا دواء لها تدفعان بك إما إلى العويل أو الجمود الدائم. العطف والحنو مهينان أكثر منهما بلا فاعلية. إضافة لذلك، كيف نشفق على مآسي الآخر بينما نحن أنفسنا نتألم بلا توقف؟ لا تدفع الشفقة للالتزام بأي شيء ومن هنا ينبع تذبذبها .

لا أحد قد مات على هذه الأرض بسبب آلام الآخر. أموت بالنسبة إلى ذاك الذي ادَّعى أنّه مات من أجلنا، هو لم يمت : بل أُعتُبر ميتا .

أزلية وأخلاق

لا أحد إلى حد اللحظة عرف ما هو الخير وما هو الشرُّ. وسيظل الأمر كذلك حتى في المستقبل. لا تهمّ النسبية: المهم هو استحالة استعمال هذي العبارات. رغم عدم معرفتي ما هو الخير وما هو الشر، أصف الأفعال بالخيِّرة والشريرة. وإن طلبوا مني بمقتضى ماذا أتحدث بهذا الشكل فلن أعرف ماذا أجيب. هو تمشٍّ غريزي يجعلني أميِّز الأشياء وفق معايير أخلاقية: وبإعادة التفكير فيها مباشرة، لن أجد لها أيَّ مُبرَّر. لقد صارت الأخلاق معقَّدة جدا ومتناقضة جدا، لأنّ القيم الأخلاقية توقفت عن التشكّل ضمن نسقِ الحياة لتتجمد في منطقة متعالية، غير محافظة إلّا على صلات ضعيفة بالميولات الحيوية واللاواقعية. كيف نؤسِّس أخلاقا؟ تبعث كلمة خير في داخلي الرغبة في التقيّؤ طالما هي باهتة وغير مُعبِّرة. تُلزمنا الأخلاق بالتحرك من أجل مجد الخير. بأيِّ شكل؟ من خلال إنجاز الواجب، الاحترام، التضحية، التواضع، الخ... لست أرى في ذلك غير كلمات عامة عديمة المعنى: تنكشف المبادئ الأخلاقية أمام الفعل الفظ دون جدوى إلى درجة أن نتساءل أليس من الأفضل لو نعيش بلا معايير.

أحبّ عالما ليس فيه أي معيار بلا شكل ولا مبدأ، عالم اللاتحديد. فهي في عالمنا مدعاة للسخط أكثر من أي استبدادية معيارية. أفكر في عالم من الفانتازيا والحلم حيث الجدال حول الخير المتأسس على الضوابط ليس له أي معنى. بما إن الواقع في جميع الأحوال هو في جوهره لاواقعي لماذا الفصل إذا بين الخير والشر- ما الدّاعي للتمييز بين الأشياء؟ يخطيء في كل شيء أولئك الذين يناصرون رغم كل شيء فكرة إنقاذ الأخلاق في مقابل الخلود. يثبتون أنّه رغم الظفر بالمتعة، والفوز بحالات الرضى الضئيلة والذنب، فالانجاز الأخلاقي والفعل الطيب فقط يصمدان قدام الأزلية. نشهد إثر التعاسات والمتع الزائلة – أو هكذا يدَّعون- النجاح النهائي للخير، والانتصار الكامل للفضيلة. ألن يتنبهوا لهذا إلا حين تكنس الأزلية حالات الرضا والمتع السطحية، غير أنّها ستكنس أيضا كل ما يسمى فضيلة، فعل طيب وحركة أخلاقية .

لن تؤدي الأزلية لا لانتصار الخير وانتصار الشر: هي تلغي كلّ شيء. لا معنى إطلاقا لإدانة الإبيقورية باسم الأزلية. فيما قد ينفعني ألمي أن أستمر لوقت طويل أفضل من أن أحيا جيدا؟ فلنتحدث موضوعيا ماذا يعني حقيقة أن يتشنّج أحدهم أثناء الاحتضار بينما يتمرَّغ الآخر في شهواته؟ سواء تألّمنا او لم نتألَّم فسوف يبتلعنا العدم بشكل لامبال، ودونما دواء لذلك وإلى الأبد. لن نعرف كيف نتحدَّث عن معبر منطقي نحو الأزلية، بل بالإمكان فعل ذلك عن طريق إحساس ذاتي، ثمرة الانقطاعات في تجارب الزمن. فلا شيء مما ابتكره

الإنسان يمكن أن يفتح على انتصار نهائي. لم يجب الانتشاء بأوهام أخلاقية، في حين أنّ هناك أوهامًا أجمل بكثير جدا؟ أولئك الذين يتحدثون عن الخلاص الأخلاقي يشيرون إلى الصدى اللانهائي للموقف الأخلاقي في الزمن، رجعه اللامحدود. لاشيء حقيقي لأنّ ما يطلق. عليهم بالصالحين-وهم في الحقيقة مجرد جبناء- يتبخرون سرعة من وعي العالم قبل مريدي المتعة. وفي جميع الأحوال حتى في الوضع المقابل ماذا سوف تعني سنوات إضافية أخرى من العمر؟

كل متعة ظامئة هي فرصة ضائعة من أجل الحياة. ليس أنا ذاك الذي سوف يأتي مُلوِّحا بالألم لمنع الناس من العربدات والانحرافات. فلنترك الرديئين يتحدثون عن عواقب المتع: أليست عواقب الألم جدّية و جادّة هي أيضا؟ الرديء فقط يتمنّى بلوغ أرذل العمر ليموت. تألَّموا إذا، انتشوا، اشربوا كأس المتعة حتى الثمالة، ابكوا أو اضحكوا، اطلقوا صيحات بهجة أو يأس- ففي جميع الأحوال لن يبقى من ذلك أي شيء. فليس للأخلاق من هدف آخر سوى تغيير هذه الحياة إلى مجموعة من الفرص الضائعة .

لحظة وأزلية

لا يمكن فهم الأزلية إلا باعتبارها تجربة، كشيء مُعاش .

فلا معنى للفرد أن يُدركها بشكل منطقي. لأن نهايته الزمنية تقف حائلا دون إدراكه لها كديمومة لامنتهية، مسار لا محدود. تشترط تجربة الأزلية كثافة التفاعلات الذاتية، فولوج الأزلية لن يكتمل إلا بالتّعالي عن الزمنية. لا بدّ من القيام بمعركة شاقة وصامدة ضد الزمن كي لا يبقى - ما أن ينقضي سراب تواتر اللّحظات- إلّا المعيش المستاء من اللحظة، والذي يدفع بك مباشرة نحو اللازمني. كيف يُمكن للانغماس المطلق في اللحظة أن يتيح مثل هذا العبور؟ ينجم ادراك الصيرورة عن حاجة اللحظة إلى النسبية: أولئك الذين يمتلكون موهبة الوعي الحاد بالزمن يعيشون كلّ ثانية وهم يفكّرون في الثانية الآتية. وفي المقابل سوف يستحيل العبور نحو الأزلية إلا بإلغاء أي صلات المتلازمة، وعيش كل لحظة بطريقة مطلقة. كل تجربة في الأزلية تقتضي وثبة وعملية تحول، ذلك لأنه قلة قادرون على تحمل التوتر الضروري لبلوغ هذا السلام الهاديء الذي نعثر عليه في تأمل الأزلية. ليست المدة، بل ما يهم هو قوة هذا التأمل . لن تقلّل

العودة للمعيش العادي في شيء من خصوبة هذه التجربة المكثفة. تذبذب هو أمر جوهري وأساسي: وحده التكرار يُسهِّل بلوغ سَكْرة الأزلية، حيث تمتازُ الشهوات بشيء ما، مافوق أرضي، نوع من التعالي الاشعاعي. سوف يتم منح اللّحظة طابعها المطلق حين يتم عزلها من قبل تتالي اللحظات، وتظل ذاتية بشكل نقي، دونما تدخل من أي عامل لا واقعي أو فانتاستيكي.يظل الوقت في البعد الأزلي ضمن موكب لحظاته المتفردة وإلّا فهو لا واقعي، وفي جميع الأحوال هو فاقد للمعنى من وجهة نظر الحقائق الجوهرية .

تجعلك الأزلية تحيا دونما ندم أو أمل في أي شيء. أن يعيش المرء اللحظة لذاتها، فهو تجاوز نسبية الذوق والأصناف، الإفلات من التلازمية حيث تحبسنا الزمنية. من المستحيل أن نحيا التلازم في الحياة دون أن نحيا التزامن في الوقت، وذلك أن الحياة بوصفها نشاطًا ديناميًا ومتنام يستوجب الزمنية: ممنوعة من هذا، تفقد الحياة طابعها الدراماتيكي. كلما كانت الحياة مكثفة، صار الزمن أكثر جوهرية وأكثر وأوضح دلالة. إضافة إلى ذلك فالحياة تمثل تعددية وجهات وميولات ليس بإمكانها أن تتسع إلا في الزّمن. حين نتحدث عن الحياة، فإنما نعني اللحظات؛ حين نتحدث عن الأزلية - اللحظة. أليس هناك غياب للحياة في تجربة الأزلية، في هذا الانتصار على الزمن، في هذا التعالي للحظات؟ هناك عملية تحوّل تُدارُ، انحراف مفاجئ عن الحياة نحو وجهة مختلفة، حيث يتم تطهير التناقضات والجدلية بما هي ميولات حيوية. أولئك المهيؤون سلفا لتأمل الأزلية،

مثلما هو الحال مع حكماء الشرق، لا يعرفون شيئا عن قسوة معركتنا للتسامي عن الزمن، يجهلون جهودنا من أجل الاستبطان، نحن المصابون بعمق بالزمنية. فبالنسبة إلي، تأمل الأزلية هو منبع رؤى جذابة وافتتانات عجيبة.

كلّ شيء متاح بالنسبة إلى من يمتلك موهبة الوعي بالأزلية ذلك أن الامتيازات تتأسس من خلال صورة ذات صفاء هائل، بحيث يبدو كما لو أنها نتيجة عدول مهم. لن نحب أبدية الشغف التي نشعر بها نحو امرأة ما، نحو مصيرنا الذاتي أو نحو يأسنا؛ غير أنّ الميل الذي في داخلنا نحو الأزلية يجذب مثل وثبة نحو سلام نور كوكبي.

تاريخ وأزلية

لماذا يتوجّبُ عليّ مواصلة العيش في التاريخ، مشاركة مُثُل عصري، انشغالي بالثقافة أو بالمشاكل الاجتماعية؟ تعبت من الثقافة والتاريخ؛ صار من المستحيل أن أشارك في آلام العالم وأمنياته. لا بدّ من تجاوز التاريخ: بلغنا هذي المرحلة حتى في الماضي، لم يعد للحاضر والمستقبل أيّ أهمية إضافة إلى أنّهُ ليس من المهمّ معرفة أين ومتى نحيا. فما الفرق بين الحاضر أو ماضي مصر الفرعونية؟ سنكون أغبياء جيدين لنرثي مصير أولئك في عصور أخرى، لم يعرفوا المسيحية ولا الاختراعات والاكتشافات العلمية. وكما أنّنا لا نعرف كيف ندرِّج تصورات الحياة، فالعالم كله على حق ولا أحد على حق. كل عصر يمثل عالمًا بمفرده، منغلق في يقينياته، إلى أن تصافح دينامية الحياة وجدلية التاريخ قواعد محدودة جدًّا وغير كافية. أتساءل كيف بإمكان بعضهم الاهتمام بالماضي فقط، بينما يبدو لي التاريخ باطل في كلّيته. ما الفائدة من دراسة مُثُلٍ كاملة وعقائد لأسلافنا؟ لقد كانت الابتكارات الإنسانية شديدة الروعة - لا تعنيني إطلاقا. ألا يوفر تأمل الأزلية ارتياحا أفضل؟ لا ليس إنسانًا/ تاريخ بل انسان / أزلية-

هاهنا عرض مقبول في عالم لا يستحق حتى أن نتنفس فيه. لا ينكر أحد التاريخ لمجرد نزوة: إذ يتمّ صنعه تحت ضغط تراجيديات عظيمة، يشكك الكثيرون في وجودها. قد يتصور البعض أنّك فكرت تجريديا في التاريخ قبل أن تلغيه عقلانيا، بينما تولَّد نفيك في الحقيقة من ضنى عميق. حين أنكر كل ماضي الانسانية، حين أرفض المشاركة في الحياة التاريخية، ذلك يعني أنني أعاني مرارة قاتلة، أشدّ إيلاما أكثر مما يمكن تصورها. فهل هو حزن خفي أن تتدفق هذه الأفكار مكثفة؟ أشعر في داخلي بطعم حامض من الموت ومن العدم، يحرقني كسمّ قوي. حزين إلى درجة أنّ كلّ شيء هنا على الأرض يتبدّى لي خاليًا من أيّ جمال. كيف يمكنني أن أتحدّث بعد الآن عن الجمال وأتفرغ إلى الاستيطيقيا بينما أنا حزين إلى درجة الموت؟

لم أعد أريد معرفة أي شيء. بتجاوزنا للتاريخ، نكون قد امتلكنا ما يشبه الوعي الما فوق الأساسي لخوض تجربة الأزلية. وبالفعل فهي تأخذ الكائن نحو منطقة حيث التناقضات والتنافرات واللايقينيات بهذا العالم تفقد معناها، حيث ننسى الوجود والموت. هو الخوف من الموت ما يُنشِّط هواة الأزلية: ولتجربة هذه الأخيرة ميزة حقيقية وحيدة وهي نسيان الموت. لكن ما الذي سوف يحدث لو يتوقف التأمل؟

ألاَّ أكون انسانا أبدا

يوما بعد آخر يزداد اقتناعي إن الانسان حيوان بائس، مهمل في هذا العالم، محكوم عليه بالبحث عن طريقة لحياة نظيفة، طريقة لم تعرفها الطبيعة اطلاقا. تجعله حريته المزعومة يتألم أكثر من شكل أي حياة مقيدة في الطبيعة. وفقا لذلك فلا شيء يثيرُ الحيرة إذا شعر الإنسان بالغيرة من نبتة أو زهرة. إن كنت ترغب في أن تحيا مثل نبات، تكبر متجذرا، منشرحًا ثمّ تذبل تحت الشمس في اللّاوعي التام، ترغب في المشاركة بإخصاب الأرض، أن تكون تعبيرًا مجهولًا من درس الحياة، وجب اليأس من معنى الحياة. لم لا أبادل وجودي مقابل نبتة؟ أعرف ما معنى أن يكون المرء إنسانًا، أن يكون له مثل وأن يحيا في التاريخ : ما الذي يمكنني أن أنتظره من هذه الحقائق؟ إنّه لشيء مطمئن بشكل أساسي أن يكون المرء إنسانًا! شيء تراجيدي، لأن الإنسان يحيا وفق نظام وجود جديد بشكل متطرف، أشدّ تعقيدًا، ودرامي أكثر من الطبيعة. وبقدر ما نبتعد عن وضع الإنسان، يفقد الوجود زخمه الدراماتيكي. عادة ما يميل الإنسان إلى انتحال احتكار الدراما والحزن، ولهذا السبب يمثل الخلاص له مشكلة حارقة

ومعقدة. لم يعد بإمكاني الاعتزاز بأنّني إنسان، لأنّني خبرت هذه الظاهرة إلى أبعد حد. وحدهم، أولئك الذين لم يعيشوها بامتلاء يمكنهم أن يستشعروها، بما أنّهم مازالوا يطمحون ليكونوا بشرًا. وافتتانهم طبيعي جدا: نفهم جيدًا أنّ أولئك الذين بالكاد تجاوزوا المرحلة الحيوانية والنباتية يرغبون بلوغ الحالة الانسانية. غير أنّ الذين يدركون ماذا تعني هذه الحالة يرغبون في الوصول إلى أي شيء عداها. لو استطعت ، سأتّخذ كلّ يوم شكلا مختلفا من حياة الحيوان أو النبات، سأكون وبشكل مستمرّ كلّ فئات الورود، الزهور، الأشواك، الأعشاب الفاسدة، شجر استوائي ذي طرابين مبرومة، طحلب بحري مهزوز عبر الأمواج، أو نبات جبال متروك للريح، أو أيضا عصفورًا بغناء رخيم أو طائر نهاب بصراخ ثاقب، مهاجر أو مقيم، حيوان يسكنُ الأدغال أو أهلي. أحبّ أن أحيا كل هذه التنويعات في هيجان متوحش ولاواع،الركض في كل كون الطبيعة، أتحوّل بلطافة تلقائية دون تركيبة من خلال صورة مسار طبيعي. أغامر في الأعشاش والكهوف، الصحاري الجبلية والبحرية، السهول والهضاب! وحده هذا الانفلات الكوني، معاش وفق أرابيسك الأشكال الحيوية وروعة النباتات، بإمكانه أن يوقظ في داخلي الرغبة في أن اكون مجددا إنسانًا. فإن كان الاختلاف بين الإنسان والحيوان يتمثل في: أنّ الأوّل لا يستطيع إلّا أن يكون انسانا؛ في حين يمكن للإنسان أن يكون لاإنسان، يعني شيئا آخر إلا نفسه... إذا فأنا لا إنسان .

سحر وحتمية

أجد صعوبة حقيقية في تخيّل أولئك الموهوبين بحساسية سحرية- هؤلاء من يشعرون أنّ كل شيء تحت سلطتهم، و ليس هناك أي معارضة يمكن لها أن تقهرهم وليس هناك أي عقبة منيعة بالنسبة إليهم. يحتاج السحر إلى وحدة شعور ضيقة جدا مع الوجود إلى درجة أنّ مظهرًا ذاتيًا قد ينبض بالحياة. تتصف بالكمال في الاندماج مع التدفق الحيوي. ليس للحساسية السحرية إلا أن تنفتح على البهجة، لأنّ الحتمية ليست من مكونات البنية الداخلية للوجود. الشعور بالقدرة على كل شيء، امتلاك المطلق بين اليدين، رؤية فيض حيويته الذاتية تمتزج مع حيوية العالم، شعور اختلاج الإيقاع الكوني في داخلك بجنون، ولا يمكن أن نكون إلا واحدا بالكل، وليس من الممكن إدراك الوجود إلا بقدر ماهو نشط، مشاهدة معنى هذا العالم يتجدد في كل لحظة وفق تعبيرته الأبلغ جودة - يكتمل في كل هذا شكل من البهجة من الصعب تخيله، لن يمسك به إلّا من يمتلكون موهبة الإحساس السحري. إذ ، ليس هناك أمراض بالنسبة إلى السحر-أو هي على الأقل أمراض يمكن التعافي منها وليست قاهرة

على الإطلاق. يضع التفاؤل السحري كلّ شيء عند زاوية التكافؤ: هكذا سيصبح من الوهم فردنة المرض لمعالجتها بدواء مخصص. يعترض السحر ويلغي أي سلبيّة يُفنِّد كلّ ما هو من جوهر الشيطان في جدلية الحياة. من يتلذذ بهذا النوع من الحساسية لن يفهم أي شيء من الانجازات الكبرى الموجعة، من البؤس، من المصير ومن الموت. تنفي أوهام السحر ما لا يمكن إصلاحه من العالم. تُلقي بالموت كحقيقة حتمية كونية. من الناحية الذاتية ،تغرق هذه الظاهرة الإنسان في حالة من السعادة العارمة والإثارة المرحة: لأنه يحيا وقتها كما لو أنّه لن يموت أبدا. فكل مشكلة الموت إذا هي رهينة الوعي به كموضوع: عدا هذا، فالدخول في العدم ليس له أي أهمية. لكن نبلغ ذروة الوعي من خلال الشعور المستمر بالموت .

معقدون للغاية أولئك الذين لهم وعي بالحتمية، أولئك الذين يقفُ في وجههم ماهو شائك وما لم يعد قابلا للإصلاح، ويفهمون أن ما يتعذر ترميمه هو نمط جوهري للوجود. لأن كل الحقائق الأساسية تقع تحت عنوان الحتمية، التي تنبع من عجز الحياة على تجاوز شروطها وحدودها المتلازمين .

لا محالة، إنّ السحر صالح لأشياء قليلة الأهمية، غير جوهرية؛ لكن من دون أي قيمة أمام الحقائق ذات الطبيعة الميتافيزيقية، التي تستدعي غالبا الصمت- وهو ما تعجز عنه الحساسية السحرية. أن يعيش المرء في الوعي الحاد للحتمية، بعجزه الذاتي أمام المسائل

الكبرى التي لا يمكن طرحها إلا إذا اندمج فيها تراجيديا، هذا يعني مواجهة مباشرة للاستفهام الرئيسي الموجه أمام هذا العالم.

الابتهاج العجيب

تدَّعون أن اليأس والاحتضار ليسا سوى مقدّمات، إن المثالي مُرتكز على ضرورة تجاوزه، إنّ طول الحياة تحت نفوذهم يجعلنا مجرد بشر آليين مُسيَّرين. تجعلون من الابتهاج المُخلَّص الوحيد، وتحتقرون ما تبقَّى. تصنِّفون الكبرياء على أنّه وسواس الاحتضار، ولا تجدون المروءة إلا في الابتهاج. تمنحوننا هذا الابتهاج؛ كيف تريدوننا أن نقبل به من خارجنا؟

لأنّه، طالما لم ينبثق من دواخلنا، طالما لم ينبع من منابعنا ومن ايقاعاتنا الذاتية،فلن تعنينا التدخلات الخارجية في شيء؟ ما أسهل أن نطلب الابتهاج ممن لا كيف يلتذ به؟ وكيف يتسنَّى لأحدهم أن يبتهج بينما ينكِّل به وسواس الجنون ليلًا ونهارًا؟ ألا يُقدِّرأولئك الذين يقترحون الابتهاج في كل آن، من الذي يخشى انهيارًا هائلًا، ما يعنيه التعذيب المستمر لهذا الحس الدّاخلي الرهيب؟ ينضاف إلى هذا الوعي بالموت، أكثر الحاحا من الوعي بالجنون. أحبُّ جيدًا أن يكون الابتهاج حالة فردوسية، لكن لا يمكن الولوج إليه إلّا من خلال تطور طبيعي. قد نتجاوز ذات يوم هذا الوسواس بلحظات

الاحتضار لندلف جنة الارتياح. وبالفعل، هل ستظل أبواب دار النعيم مغلقة في وجهي إلى الأبد؟ لم أجد مفتاحها إلى الآن .

كما إنه ليس في مستطاعنا الاستمتاع، لم يتبقَّ لنا سوى درب الآلام، درب الحماسة المجنونة والتي لا حواجز لها. لنصل بتجارب لحظات الاحتضار إلى أقصاها؛ ولنحيا ذروة دراما دواخلنا! وهكذا لن تثبت إلا حدَّة مطلقة، وبدورها سوف تتبخر ولن تترك خلفها سوى بعض دخان... لأنّ نارنا الداخلية أفنت كلّ شيء .

لا يحتاج الابتهاج إلى أي تبرير.

إنّهُ يمثّل حالة من الصفاء والكرم لا تنتظر تمجيدنا له. مستحيل على اليائسين عضويا وبممارسته ما يكفي من الإغراء على اليائسين العرضيين فهو بغير حاجة إلى تبرير. تتجاوز عقدة اليأس المطلق بشكل لا نهائي عقدة الابتهاج المطلق. ألهذا السبب ضاقت أبواب الجنة على من فقد الأمل؟



غموض الألم

ليس من أحد ممن ظفر بالألم أوبالمرض لم يكابد في عمق روحه التحسُّر بما هو بعيد الاتساع، شديد الشحوب كما هو. فأولئك الذين تألموا طويلا وبحدة يشعرون أنهم مدفوعين للتفكير في أنّ تعافيهم النسبي هو بمثابة خسارة لهم رغم تلهفهم لاستعادة صحتهم. حين يصبح الألم جزءًا لا يتجزأ من الذات، فتجاوزه يُخَلِّف التحسر عليه كما لو أنّه قطعة ضائعة من الجسد. الأجود فيَّ، هو ما خسرته، مدين للألم به. وبهذا الشكل أنا لا أحبّه ولا أدينه. لديّ إحساس متفرد نحوه، لا أستطيع تحديده، لكن له سحر وجاذبية النور الغسقي. ليست السعادة العارمة في الألم سوى وهم، لأنها تفترض الصّلح مع حتمية الألم، لتجنب الدمار. في هذي السعادة العارمة الوهمية تستلقي آخر منابع الحياة.الإتفاقية الوحيدة التي من الممكن عقدها مع الألم معقودة في التحسر على التعافي ، لكنها بدرجة من التعميم والإبهام لا يمكنها أن تثبت في الوعي. كل ألم ينطفيء يُحدث شعورًا مضطربًا، كما لو أنّ العودة للتوازن تمنع العبور إلى مناطق مُنكِّلة وخلابة في نفس الوقت، وليس بإمكاننا أن نتركها بالنظر. لم يكشف لنا الألم عن

الجمال، ولا أي نور آخر يمكن أن يغرينا. هل نحن منجذبون مرّة أخرى إلى ظلمات الألم؟

هو غبار فقط

لديَّ ما يكفي من الأسباب التي لا طائل من وراء تعدادها ، تجعلني أرفض أيَّ معنى للحياة:

اليأس، اللامتناهي والموت هم الأكثر بديهية. لكن من الضروري الاعتراف بأن هناك معطيات خاصة تُحدِّد شخصيتك كما تنفي معنى الحياة بشكل كامل... لا قيمة للخطأ والصواب في مواجهة الوجود . يكفي فقط رد فعلنا الشخصي. ذاتيا، ألن نقول. ما الذي يهم في ذلك؟ ألا ترتفع بك التجربة الذاتية إلى مقام الكونية، تمامًا كما تبلغ اللّحظة الأبدية؟ قليل ما نادرا ما يتذَّوق الناس العزلة! وكلّ من خرج منها يتسارع لإعلان العقم: لا يتعلقون إلا بالقيم الاجتماعية، مخدوعون كما هم بوهم أنّهم ساهموا كلهم في صياغتها. كلّ فرد يريد أن يفعل شيئا وأن يتخلَّد في انجازاته. كما لو أنّ هذه الإنجازات لن تتحول إلى غبار !

أنا مستاء من كل شيء. حتى ولو تم تنصيبي إلاها سأسارع إلى تقديم استقالتي؛ وأن اختزل العالم كلّيته في شخصي، وإن كان كلّ العالم أنا، سأكسرني إلى آلاف القطع، وأطير شظايا. كيف يمكن لي أن أعرف لحظات يتملكني خلالها انطباع أنّني فهمت كل شيء؟

الاتّقاد كشكل من أشكال الحب

هناك من الأشخاص من تكتسي الحياة عنده أشكالا من النقاء، من الشفافية التي من الصعب تخيّلها عند أولئك الذين هم فريسة المتناقضات والفوضى. تجاوز نزاعات داخلية، التلف في دراما شخصية، معاناة مصير مصنف في خانة المتعذر إصلاحه: هاهنا حياة حيث الوضوح مبعد تماما. فأولئك الذين يسير وجودهم دونما عراقيل ولا حواجز يدركون حالة من السلم والارتياح، حيث يبدو لهم العالم براق وآسر. أليس كذلك هو الاتقاد، هذه الحالة التي تُغرق العالم في بريق تصنعه الابتهاجات والاغراءات؟ يسمح الاتقاد باكتشاف شكل متفرد من الحب، ويكشف طريقة جديدة للاستسلام للعالم. للحب أكثر من وجه، أكثر من انحرافات، أكثر من نمط وهو شاق إن تم نزع نواته أو شكله الجوهري. وبالنسبة إلى كل ما هو ايروتيكي فمن المركزي تعريف التجلي الأصيل للحب، والطريقة الأساسية التي من خلالها يتحقق. نتحدث عن الحب بين الأجناس، عن الحب من أجل الألوهية، من أجل الفن أو الطبيعة، ونتحدث أيضا عن الاتقاد كشكل من أشكال الحب، الخ. فما هو التجلي الذي

يتميز به عن بقية الأحاسيس ويُشْتقُّ منه؟ يدعم علماء اللاهوت الشكل الجوهري للحب حب الآلهة: وما بقية أشكال الحب إلا انعكاسات شاحبة له. بعض الحلوليين ممن لهم ميول جمالية يُؤْثِرون الطبيعة، أما متذوقوا الجمال الأنقياء فيؤثِرون الفن. وبالنسبة إلى أتباع البيولوجيا، فهو الجنس كما هو دونما عاطفية؛ وأخيرا فهو بالنسبة إلى بعض الميتافيزيقيين الشعور بالهوية الكونية. ولا أحد في الأثناء يُبرهن على إن شكل الحب الذي يُدافع عنه هو مُكوِّن للإنسان، ذلك أنّ هذا الشكل خضع إلى عدة تحولات في سياق التاريخ إلى درجة أنّ لا أحد استطاع تحديد طبيعته المخصوصة. من جهتي أرى أن شكله الأساسي هو الحب بين الرجل والمرأة والذي هو أبعد من أن يُختَزل في علاقة جنسية، ينضوي على جملة من الحالات العاطفية شديدة الثراء. من ذا الذي انتحر ذات يوم من أجل الله، من أجل الطبيعة أو من أجل الفن؟ فأن نحبهم بشكل مكثّف فتلك حقيقة شديدة التجريد. يكون الحب أكثر تكثفا في علاقته بالفردانية، بالمحسوس، بالمتفرد؛ يعشق الرجل امرأة لما يميزها في العالم، لتفردها: في لحظات الحب القصوى، لا شيء يُمكن أن يعوّضها. كل أشكال الحب الأخرى رغم أنها تنزع نحو استقلاليتها تساهم في هذا الحب المركزي. هل نعتبر الاتّقاد أيضا مستقلًّا عن فلك الإيروس، بينما تمتد جذوره عميقا في جوهر الحب نفسه رغم قدرته على التحرر. كل طبيعة اتقادية تُغلّف قابلية للتأثر عالمية، كونية، قدرة على التماثل، قدرة على توجيه زاوية السمت، وقدرة على المغامرة في كل شيء بحيوية متفلتة، لمجرد شهوة الانجاز

والشغف بالحركة. المتقد حماسة لا يعرف معايير، لا أبعاد، لا يعرف حساب الأشياء، يعرف فقط التوهان، وعذاب التفاني. بهجة الانجاز وسكرة الفعالية هما جوهر هذا النوع من البشر، من بالنسبة إليه الحياة وثبة تطير به نحو عُلُوٍّ حيث تفقد قوى التدمير بأسها. لكل واحد منا لحظات اتقاد غير أنّها نادرة جدا لتحددنا. أتحدث هنا عن اتقاد في جميع الاختبارات: لا يعرف الخسارات اطلاقا، لأنّه لا يضع نفسه محل اختبار، غير أنّه يستمتع بالمبادرة والنشاط كما هما، ينطلق في حركة ليس من تأمل معناها أو فائدتها ولكن لأنّه لا يستطيع أن يتعامل معها إلا بهذا الشكل. لن ينشِّط النجاح أو الفشل المتقد ولن يحبطاه النجاح والفشل وهو ما لا يعني إنّه بالضرورة لا مبال بهما: فهو الشخص الأخير في العالم الذي قد يفشل. الحياة في جوهرها أقل رداءة بكثير وتجزئة مما نتصور، أليس لهذا السبب نحن لا نفعل سوى أن ننحط، نفقد حيوية اندفاعاتنا ونفرض على أنفسنا أشكالا، نتصلب على حساب الانتاجية، على حساب الدينامية الجوانية؟ يدمر فقدان الانسيابية الداخلية قابليتنا للتأثر وقدرتنا على معانقة الحياة باعتزاز. وحده المتقد يظل حيويا حتى في شيخوخته: أما الآخرون حين لا يولدون موتى - كأغلب الناس-يموتون بابتسار. كم هم قلة المُتَّقِدون الحقيقون! هل من من الممكن أن نتخيل عالما من الممكن أن يكون فيه كل الناس عشاقا لكل شيء؟ سيكون ذلك أكثر إغراء من صورة الفردوس ذاته، لأنّ الاسراف في السمو والمروءة يتجاوز كل رؤيا فردوسية فقدرات المُتَّقد المتجددة بشكل مستمر تضعه فيما وراء

الاغواءات الشيطانية ما وراء الخوف من العدم وعذابات الاحتضار. لا تعرف حياته التراجيدي، لأن الاتقاد يمثل الشكل الوحيد للوجود العويص تماما أمام شعور الموت. حتى في اللطافة -هذا الشكل المقرب جدّا من الاتقاد، الإنكار، اللامبالاة العضوية والجهل اللاواقعي للموت كل هذا له قوة أقل. يدخل الكثير من السحر المالينخولي ضمن اللطافة، لكن لا شيء منه في الاتقاد. يتأتَّى عشقي اللامحدود للمتقدين من عجزي على فهم وجودهم في عالم حيث الموت، العدم، الحزن واليأس يؤلفون موكبا نحسا. فليكن هناك ناس غير عاجزة عن اليأس - فهذا ما قد يُحدث اضطرابا ويثير انطباعا جيدا؟ ما الذي يجعل المتقد لامبال إزاء الموضوع؟ كيف لا يكون مدفوعا الا بالامتلاء والمبالغة؟ وماهو هذا الانجاز الغريب والمفارق الذي يحققه الحب في الاتقاد؟ لانه، كلما تكثف الحب أكثر، ازداد فردانية. أولئك الذين يعشقون بشغف كبير لا يستطيعون عشق عدة نساء في نفس الوقت: كلما زاد الشغف قوة فرض موضوعه نفسه أكثر. فلنحاول إذا أن نتخيل شغفا لا موضوع له، لنتصور رجلا لا امرأة له يحاول تركيز عشقه: ما الذي سيبقى له عدا الامتلاء بالحب؟ ألا يوجد رجال موهوبين بقوى عشقية كامنة في دواخلهم، غير أنّهم لم يعشقوا هذا العشق الجوهري الأصيل. الاتقاد :هو عشق بلا موضوع فرداني. عوض التوجه نحو الآخر تفيض الافتراضات العشقية من خلال تجليات خصبة، في شكل قابلية تأثر كونية .

لا شك أن الاتقاد منتوج عال الجودة للإيروس، حيث لا يتم

تبذير الحب في تعبد متبادل للأجناس، لكن يجعل من المتقد كائنا لا مبال، نقي ومنغلق. من جميع أشكال الحب، يظل الاتقاد الأكثر خلوا من الجنس، بل أكثر حتى من الحب الصوفي الذي لم يفلت من الرمز الجنسي. بل إنّ الاتقاد ملاذ آمن من الحيرة والتردد اللذين يجعلان من الجنس ميزة تراجيدية للإنسان. الاتقادي شخص غير اشكالي البتة. يستطيع فهم الأشياء، لكن ليست تلك المتعلقة باللايقينيات الموجعة ولا الحساسيات العمائية للذهن المتعذب. ليس بإمكان الأذهان الاشكالية أن تقدم حلًّا لأيّ شيء، لأنها لا تحب أيّ شيء. ابحثوا فيهم عن هذه القدرة للتخلي، هل لديهم الإحساس بهذه المفارقة التي يتصف بها الحب كحالة نقية، هل يملكون هذه الحينية المستمرة والكاملة التي تنفتح على كل شيء وفي كل لحظة، هل يتصفون بهذه العفوية اللاواقعية. تنبع غبطة المتقدين بالضبط من واقع أنهم يجهلون تراجيديا المعرفة. لم لا نعترف بذلك؟ تتداخل المعرفة بالظلمات. سوف أتخلى بملء إرادتي عن كل مسألة لا حل لها مقابل عفوية ناعمة ولا واعية. الذهن لا يُعلِّي: يُمزِّق. لا يتناقض الذهن في الاتقاد مع الحياة، تماما كما اللطافة أو السحر. يكمن سر هذه السعادة في هذا الشيوع الأوَّلي، الذي يُثبِّت وحدة يستحيل مهاجمتها، هي بالأساس تقارب عضوي. يجهل الاتقادي الازدواجية–هذاالسمُّ. لا يمكن للحياة أن تظل مُخْصِبَة في العادة إلا على حساب التوترات والتناقضات، كل ما يشير الى الصراع. في حين أن الاتقاد يتجاوز هذا الصراع من أجل تحليق خال من التراجيديا، حب خال من الجنس .

نور وظلمات

يظهر بُطلان التأويلات الفلسفية والدينية في ما يتعلق بالدين في عدم فهم معنى ازدواجية النور والظلمات في الديانات الشرقية والتصوف عموما التداول المضبوط للنهار والليل - وهذا الأخير مبدأ حياة، هذه التي هي مبدأ اللغز والموت- وهو ما سوف يوحي بترجمة النور والظلمات إلى مبادئ ميتافيزيقية. ما الذي سيكون أكثر بداهة من أول وهلة؟ هكذا ينكشف قِصَرُ هذه التأويلات لمن يبحث عن تحديدات عميقة. يتعلق سؤال النور والظلمات في الحقيقة بحالات انخطافية. لن تمتلك الازدواجية أي قيمة تفسيرية إلّا لمن عرف الاستحواذ والأسر، خاضعا، بشكل دائم أو متقطع لقوى النور والظلمات. تجعل الحالات الانخطافية الظلال تراقص الالتماعات في الظلمة؛ وفي رؤيا دراماتيكية تمزج البروق بظلال فالتة وعجيبة وذلك بالتنويع من الفروق الدقيقة للنور إلى درجة تحويلها إلى ظلمات. غير أنه ما يثير ليس هذا الانتشار، بل ما يجعل من المرء خاضعا له، مجتاحا مأخوذا به. نبلغ قمة النشوة عند الاحساس النهائي، حين نعتقد أننا نموت بالنور والظلمات. تُخفي الحالة

الانخطافية وبشكل غريب كل الأشياء المُحْدِقَة، كل الأشكال المعهودة للفردانية؛ فلا يبقى وقتها إلّا انعكاس للظلال والأنوار من الصعب تفسير كيف يتم هذا الانتقاء وهذا التطهير وكيف تنسجم في قدرتها على الافتتان واللّامادية. يحتوي الحماس الانخطافي على عامل شيطاني. وحين لا يبقى من الشغف بهذا العالم غير النور والظلمات كيف يمكن تجنب نعتهما بالميزة المطلقة؟وتثبت ترددات الحالات الانخطافية في الشرق، والصوفية في كل الأوقات فرضيتنا. لا أحد بإمكانه العثور على المطلق خارج ذاته؛ فالشغف، إذا، هذي الذروة للدواخل، لا يكشف إلا شرارات وظلالا داخلية. مقارنة بهذا، فالليل والنهار شاحبان جدا. تتخذ الحالات الانخطافية طابعا جوهريا جدا إلى درجة تنبثق منها هلوسة ميتافيزيقية عمياء حين تلامس المناطق العميقة للوجود. لا يصيب الشغف إلا كائنات جوهرية نقية، لامادية. غير أن لاماديتها تنتج دوارا ووساوس لا يمكن النجاة منها إلا بتحويلها إلى مبادئ ميتافيزيقية.

التخلي

هكذا،عرفت الشيخوخة، الألم والموت وخلصت إلى أن المتعة ما هي إلا وهم، ولن يفهم المستمتعون بها أنهم فريسة هذا الوهم - أضخم الأوهام- عدم استقرار الأشياء. إذا هربت من العالم مقتنعا بالطبيعة الزائلة للجمال وشتَّى أشكال السحر الأرضي. قلت إذا، إنّك لن تعود قبل أن تنجو من الولادة، الشيخوخة والموت .

هناك الكثير من الكبرياء والوجع في التخلي. عوض أن تنسحب خفية دون كراهية أو تمرد، تفضح جهل وعجز الآخرين، تدين المتعة والشهوات التي ينعم فيها الناس. أولئك الذين تخلوا عن العالم من أجل التفرغ للزهد تصرفوا بهذا الشكل، مقتنعين بتجاوزهم النهائي للتعاسات البشرية. منحهم الشعور بالعبور إلى أبدية ذاتية وهم التخلص الكامل. رغم أن عجزهم في التخلص الحقيقي مرتبط بإدانتهم للمتعة وحقدهم على أولئك الذين يعيشون من أجل العيش فقط. حتى وإن اضطررت للانسحاب إلى الصحاري الأشد رعبا، التخلي عن كل شيء كي لا أعرف إلا العزلة التامة، لن أجرؤ إطلاقا على نبذ المتعة ومحبيها. بما أنّ التخلي والعزلة لن يمنحانني الأبدية، بما

أنّ مصيري هو الموت مثل الآخرين، لماذا احتقر الآخرين إذا، لماذا أشدِّد علة أنّ سبيلي هو السبيل الوحيد الأسلم؟ أليس الأنبياء محرومين من كل فهم، من كل سرية؟ أدرك الألم، الشيخوخة والموت، وأرى أنّه ليس من الممكن تحمل كل ذلك. لماذا أزعج متعة الآخر؟ الأكيد أنّه ليس هناك سوى التخلي لإغواء من وجد نفسه في مواجهة مع مثل هذه الحقائق ويعيشها معتقدا في خلودها. لا شك أنّ الوجع يؤدي إلى التّخلي؛ و مع ذلك لن أدين ابتهاج الآخر . هل يستطيع الجذام أن يلتهمني. تحتوي الإدانة دائما على جانب هام من الغيرة. ليست البوذية والمسيحية سوى ثأرا وغيرة بالنسبة إلى الآلام. أحسّ بذلك خلال الاحتضار، لن أستطيع سوى تمجيد التهتك. لن أنصح أحدا بالتّخلي، فقلة بإمكانهم النجاح في ذلك، حالما يكون وحده في الصحراء لن يحتمل وسواس ما هو زائل. هناك ،كما في العالم، يحتفظ زوال الأشياء بنفس الجاذبية الموجعة. علما وأنّ أوهام المنفردين الكبار هي أكثر لا واقعية من السذَّج والجهلة .

مريرة فكرة التخلي إلى درجة أننا نستغرب كيف أمكن للإنسان إدراكها. يجهل المقدمات الرهيبة للتخلي ذاك الذي، لم يحس في معابر اليأس؛ بقشعريرة ثلجية تطوف بأنحاء جسده، بشعور الاستسلام لما هو حتمي، بالموت الكوني وبالعدم، بالفراغ الذاتي والحيرة غير القابلة للتفسير .

لكن كيف يمكن التخلي؟ أين نذهب حتى لا نترك كل شيء دفعة

واحدة (رغم أن هذا هو التخلي الحقيقي)؟ لن نعثر أبدا على صحراء خارجية؛ ينقصنا ديكور التخلي. غير قادرين على العيش أحرارا تحت الشمس دون أي فكرة أخرى عدا فكرة الأبدية، كيف يمكننا أن نكون قديسين دون مأوى؟ إنّها دراما عصرية للغاية أنه لم يعد بالإمكان التخلي إلا من خلال الانتحار. لكن لو أمكن لصحرائنا الداخلية أن تتحقق، ألن يرهقنا اتساعها؟

لماذا لا أنفجر؟ أليس في داخلي ما يكفي من الطاقة لزلزلة الكون، ما يكفي من الجنون، لتدمير أقل وضوح؟، أليست بهجتي الوحيدة هي بهجة الفوضى، ومتعتي المتوثبة التي تصرعني؟ أليست ارتقاءاتي سقطات، وانفجاري أليس هو شغفي؟ ألا أحب أن أدمر نفسي؟ ألست منغلقا دقة صارمة على حالات الصفاء؟ ألا يحتوي عشقي على المزيد من السم؟ ألا يجب عليَّ أن أستسلم لكل حالاتي، أن لا أفكر فيها لأحياها بالامتلاء الكامل؟ ألم أصارع الموت بشكل جيد ما الذي يجب أن افعلهُ أيضا كي إتخذ ايروس عدوا لي؟ لم أشعر بالخوف حالما يولد الحب بداخلي؟ لم أرغب في ابتلاع العالم لايقاف هذا الحب؟ تعاستي:إنني أريد من يخونني لأجد مبررات جديدة للألم. فوحده الحب يكشف لك فشلك. هل بإمكان من وجد نفسه وجها لوجه مع الموت أن يعشق؟ هل يمكن أن أموت عشقا؟

فضائل الأرق

كما أنّ النشوة تُفرغك من الفردي والطارئ، مدخرة النور والظلمات فقط فكذلك ليالي السهاد تدمر تعدد العالم وتنوعه لتتركك لوساوسك. أي افتتان عجيب في تلك الميلوديات التي تتدفق داخلك خلال الليالي البيضاء! يتملك بك الإيقاع والتطور الملتويين لنشيد داخلي في غبطة لن تدرك النشوة، لأن الكثير من الندم سينفذ إلى هذا التدفق المالينخولي. ندم ماذا؟ من الصعب شرحه، لأنّ حالات الأرق معقدة جدّا لكي نعرف ما الذي خسرناه. ومأتى هذا أن الخسارة لا نهاية لها. كل شيء يتم انجازه إذا وفق دفتر ميلودي. يتجرد المعشوق-فهل هو حلم أو حقيقة؟ هذا التحويل الميلودي يُعير للواقع ويُحدث اضطرابا-خفيف التكثيف كي يؤدي إلى اكتئاب كوني- محافظا على بصمة الموسيقى، الموت نفسه ودون أن يتوقف عن أن يكون بشعا ينبثق في هذا الاتساع الليلي حيث الشفافية متلاشية، بل وهمية لكن ليست أقل موسيقية. لكن حزن هذه الليلة الكونية يشبه كثيرا حزن الموسيقى الشرقية، حيث يسود لغز الموت لفائدة خسارة لغز الحب .

التحول الجوهري للحب

يلعب اللاواقعي دورا رئيسيا في ولادة الحب، ونفس الشيء في الإحساس به، انطباع الذوبان، الانحلال. الحب هو شكل من أشكال التقرب و الحميمية: ما الذي يستطيع أن يعبّر عليه أكثر من الظاهرة الذاتية للانحلال، وانهيار كل حدود الفردانية؟ يا للمفارقة، أليس الحب هو في جملته هو الكوني والفردي بامتياز؟ لا يمكن لوحدة الشعور أن تتحقق إلا عبر الفردانية. أحب شخصا ما، وبما أنّه رمز الكل، أشارك في جوهر الكل بطريقة بسيطة وبريئة. تفترض هذي المشاركة الكونية تميز الموضوع بخصيصة متفردة، الفردي يفتح على الكوني. ينبثق الغموض وتحميس الحب من الاستشعار، من الحضور اللاواقعي للحب في الروح والذي يلامس ذروته. الحب الحقيقي قمة لن يأخذ منها الجنس أي شيء .

ألا يصل الجنس أيضا إلى المرتفعات؟ إلا يوفر ذروة متفردة؟وفي الأثناء تطارد هذي الظاهرة الغريبة التي هي الحب، الجنس من مركز الوعي، رغم أنّه لا يمكن أن نتصور حبا من دون جنس. يكبر المعشوق في داخلك نقيا وملازما، محاطا بالتعالي والحميمية، مما يجعل

من الجنس هامشا، من الناحية الذاتية على الأقل. ليس هناك حب روحي بين الأجناس لكنها تحولات شهوانية حيثُ يُعرِّف المعشوق نفسه من خلالك إلى درجة ايهامك بالروحانية . إذا، هو الإحساس بالانحلال فقط، حيث اللحم يرتجف من قشعريرة عامة، ويتوقف عن أن يكون مقاومة وعائقا ليوقد نارا داخلية من أجل أن يذوب ويضيع .

الانسان، حيوان مُؤرَّق

قال أحدهم إنّ النوم معادل للترجي: حدس رائع بنفس الأهمية المرعبة للنوم - ونفس الشيء بالنسبة إلى الأرق! تمثل هذه الأخيرة حقيقة ضخمة إلى حد أنني أتساءل إذا لم يكن الإنسان حيوانا عاجزًا عن النوم. لم نصنفه بحيوان عاقل في الوقت الذي نجد عند بعض الحيوانات عقلانية أكثر مما نريد؟ إضافة إلى ذلك، لا يوجد في مملكة الحيوان رغبة في النوم دون قدرة على ذلك. يُنسي النوم دراما الحياة، تعقيداتها، وساوسها؛ كل يقظة هي بداية جديدة وأمل جديد. هكذا تدخر الحياة تقطعا رائعا، يعطي انطباعا بالتجدد الدائم. عكس الأرقين الذين يُسببون الشعور بالاحتضار، حزنا عضال، اليأس. بالنسبة إلى شخص في صحة جيدة - وحيوان كذلك- من التفاهة التساؤل حول الأرق: إنه يجهل وجود أفراد يقدمون كلَّ شيء من أجل الظفر بغفوة صغيرة، ملازمين الأسرَّة يُضحون بمملكة للعثور على اللاوعي الذي سلبهم إياه الوضوح المرعب للسهاد بشكل وحشي. الرابط بين الأرق واليأس غير شديد الوثوق. أعتقد أنّ الخسارة الكاملة للترجي لا يمكن إدراكها من دون مساعدة من

الأرق. يتمثل الفرق بين الجنة والجحيم في: أنه من الممكن النوم في الجنة كما نرغب ونريد؛ لكن لا ننام اطلاقا في الجحيم. ألا يعاقب الله الإنسان بحرمانه من النوم ومنحه المعرفة؟ أليس الحرمان من النوم هو العقاب الأشدُّ رعبا؟، من المستحيل أن نحبَّ الحياة اذا لم نستطع النوم. يشكو المجانين كثيرا من الأرق، ومن هنا جاءت انهياراتهم العصبية الرهيبة، مرارة الحياة وميلهم نحو الانتحار. فهذا الإحساس بالتوغل، اذا، كما الغواص في العدم، في الأعماق - هو احساس خاص بالساهرين المهلوسين- ألا يكشف ذلك عن شكل من أشكال الجنون؟ أولئك الذين ينتحرون بإلقاء أنفسهم في الماء أو في الفراغ ألا يندفعون إلى ذلك بتحريض أعمى، منجذبين بشكل مجنون نحو الهاوية. أولئك الذين لم يقعوا في مثل هذه الدوخات لن يستطيعوا فهم الافتتان الآسر بالعدم الذي يدفع البعض إلى التخلي المطلق .

في داخلي الكثير من الغموض والفوضى ليس بإمكان كائن بشري احتماله. ستجدون في داخلي كل ما ترغبون فيه. انا أحفور بداية الكون، الذي لم تتحجر مكوناته، والذي مازالت الفوضى الأولية فيه تتفرغ لغليانه المجنون. أنا التناقض المطلق، ذروة المتنافرات وحدود التوترات؛ كل شيء ممكن فيَّ، لأنني الشخص الذي سوف يضحك في اللحظة الأسمى، الاحتضار الأخير، ساعة الحزن الأخير .

المطلق في اللحظة

لن نستطيع أن نلغي الوقت إلا إذا عشنا اللحظة تماما، بالاستسلام لحالات سحرها، هكذا نحقق أبدية الحاضر:الاحساس بالحضور الأبدي للأشياء. الزمن، الصيرورة يصير وقتها كل هذا غير مهم عندك. الأبدي الحاضر هو الوجود. لأنه في هذه التجربة المتطرفة وحده الوجود يكتسب البداهة والإيجابية. مُنتزع من توالي اللحظات، فالحاضر هو إنتاج الكائن متجاوزا للفراغ. كم هم سعداء أولئك الذين يستطيعون أن يحيوا اللحظة، يثبتون الحاضر دونما هِنَات، مرتابين من سعادة بالغة ومن حماسة يوفرها لهم الحاضر المكتمل للأشياء... ألا يبلغ الحب، إذا، مطلق اللحظة؟ ألا يتجاوز الزمنية؟ أولئك الذين لا يعشقون باستسلام تلقائي هم مُلجَمون بحزنهم وقلقهم، ولكن أيضا بعدم قدرتهم على احتمال الزمنية. ألم تُعلن ساعة الحرب بعد على الزمن عدُوُّنا كلنا؟

الحقيقة، أي كلمة

الغباوة الكبرى التي أدركها الفكر البشري، هي فكرة التخلص من خلال إلغاء الرغبة. لماذا نعطل الحياة ،لماذا ندمرها من أجل ربح عقيم هو اللامبالاة الكاملة والتحرر الوهمي؟ كيف مازلنا نتجرأ على الحديث عن الحياة في الوقت الذي افنيناها فينا؟ لدي تقدير لذلك الشخص الذي يحمل رغبات متنافرة، تعيس في الحب ويائس، أكثر من ذاك الحكيم هادىء الأعصاب ومتكبر. لا بدّ أن يمّحي كل شيء لتتواصل الحياة كما هي.

أكره حكمة هؤلاء الأشخاص الذين لا تنال منهم الحقيقة، الذين لا يتألمون داخل أعصابهم، داخل لحمهم ودمائهم. لا أحب إلا الحقائق الحيوية، الحقائق العضوية الناتجة عن حيرتنا. كل أولئك الذين يفكرون بطريقة حيوية معهم الحق، لأننا لن نجد اي حجة مقنعة ضدهم. حتى ولو يدَّعون عليهم إحدى الحجج فلن تثبت طويلا. أن يستبسل بعضهم في البحث عن الحقيقة، فذلك مدعاة لاستغرابي. ألم نفهم بعد وإلى الآن إنها غير موجودة؟

جمال الشعلات

يُقصي سحر الشعلات من خلال لعب عجيب فيما وراء الهارمونية النسب والقياسات. ألا ترمز حيويتها غير المحسوسة والدقيقة جدا إلى التراجيديا واللطافة، اليأس والعفوية، الحزن واللذة؟ ألا نعثر في التهامها الشفيف وتَوَقُّدِها المجرد، التحليق وهشاشة لا التطهيرات الكبرى والحرائق الداخلية؟ كم أحب أن يرفعني تصاعد الشعلات، أن تهزني بنفخاتها الناعمة والنافذة لأطفو على بحر من نار وأُفنيني بموت حالم. يوهم جمال الشعلات بموت نقي ومطلق شبيه بالسحر. الموت في الشعلات بشكل تجريدي يحدث أجنحة متأججة. أليس هناك سوى الفراشات تموت بهكذا طريقة؟ لكن وأولئك الذين يموتون بشعلاتهم الخاصة؟

فقر الحكمة

أكره الحكماء لما يتصفون به محاباة، جبن وتحفُّظ. أحبّ أكثر وبشكل لا نهائي الشغوفات الملتهمة التي يعادلها المزاج والتي تجعل المتعة لا معنى لها تماما كالألم. لا يعرف الحكيم تراجيديا الشغف ولا الخوف من الموت كما يتجاهل الحماس والمخاطرة،البطولة البربرية، المضحكة أو السامية. يعبر في شكل حكم و يعطي نصائح . لا يعيش الحكيم أي شيء،لا يشعر بأي شيء،لا يرغب ولا ينتظر. يجد متعة في إعداد توطئة لمختلف محتويات الحياة ضامنا لكل نتائجها. بينما وأشد تعقيدا يبدو لي أنه رغم هذي التوطئات هناك من الحكماء من يعانون عذابات. فارغ هو وجود الحكيم وعقيم، لأنه خال من التناقضات ومن اليأس. لكن أشكال الوجود التي تلتهم التناقضات غير المحتملة هي أكثر إخصابا. ينبع خضوع الحكيم من الفراغ، وليس من نار الدواخل. أحب الف مرة أن أموت بهذه النار على أن أموت من الفراغ أو من الاستسلام للقدر .

العودة إلى الفوضى

مشي إلى الخلف في اتجاه الفوضى الأولية، عودة إلى الحيرة الأصلية إلى الاضطراب العظيم البدئي! فلنندفع في اتجاه الدوامة السابقة لظهور الأشكال. ولتخفق حواسنا من هذا الكدِّ، تخفق من هذا العَتَه، من هذا اللهب، تخفق من هذه الدامة! وليختف كل ما هو كائن حتى نعبّر بامتلاء نحو الدُّوار الكلي من خلال هذه الحيرة واللاتوازن، صاعدين من الكون إلى الفوضى، من الطبيعة إلى الشيوع الأصلي، من الشكل إلى الإعصار. يتَّبع تفتيت العالم مسارا مضادا للنمو: قيامة معكوسة، لكنها متدفقة من نفس حالات الجذب. ذلك أنه لا أحد يرغب في العودة إلى الفوضى اذا لم يعاني بشكل حاد دوخات القيامة .

كم سيكون رعبي عظيما وكذلك بهجتي لفكرة أن يخطفني صخب الفوضى الأوّلية، بما فيها من تحيُّروهندسة مفارقة - الهندسة الوحيدة الفوضوية، دونما تميُّز بالأشكال أو المعنى .

يصبو الدوار وقتها إلى الشكل كما تُخفي الفوضى افتراضات كونية. أحب أن أحيا في بداية العالم، داخل الزوبعة الشيطانية للمطبات الأولية. وليكن أنّ كل شيء في. وليفن كل شيء مهزوز من

الشكل في داخلي؛ وليرتجَّ من ارتجاف بدائي. مثل يقظة للعدم .

لا أستطيع أن أعيش إلا في بداية العالم أو نهايته .

تهكُم وتهكُم ذاتي

حين أنكرنا كل شيء في الهيجان وقضينا على كل أشكال الوجود نهائيا حين انتهت مبالغة في السلبية من كنس كل شيء، من سنهاجم وقتها إن لم نهاجم أنفسنا ذاتها؟ ممن سنضحك وممن سنشتكي؟ حين انهار العالم كله أمام عيوننا، سرعان ما ستنهارون أنتم أيضا. تُبْطئ لا نهائية التهكم كل محتويات الحياة. ليس إطلاقا ذلك التهكم اللائق، الذكي والنافذ، الناجم عن إحساس بالتفوق، أو الكبرياء الخفيف - هذا التهكم الذي يَعمد البعض من خلاله علانية إلى إحداث مسافة بينهم وبين العالم-لكنه التهكم التراجيدي المرير باليأس. ذلك أن التهكم الوحيد الذي يستحق هذا الإسم هو ذاك الذي يُعوّض دمعة أو انقباضا، لا بل ضحك سُخري وجرائمي. ليس هناك أي صلة بين تهَكُّم الذين تألموا والتهكم السهل للاتفعاليين. يكشف الأول عجزا عن المشاركة الساذجة في الوجود، ناتجا عن الفَقْد الكلي للقيم الحيوية؛ لكن الانفعاليين لا يشكون من هذه الاستحالة لأنهم لا يشعرون بمثل هذا الفقد. يعكس التهكم انقباضا داخليا، نقص في الحب، غياب في وحدة الشعور والتقارب والتفاهم البشري، هو معادل

لاحتقار مُقنَّع. يزدري التهكم الحركة الساذجة والعفوية، لأنه يتموقع فيما وراء البراءة واللاواقعية. ورغم ذلك على قوة مبالغ فيها من الغيرة تجاه السذّج. غير قادر على اظهار عشقه للبساطة نتيجة كبريائه المفرطة، يحتقر التهكم الغيرة والتسمم. ويبدو لي أن التهكم المرير والتراجيدي للاحتضار أكثر أصالة من التهكم الارتيابي. وإنه لأمر دال جدا على أن التهكم تجاه الذات لا يمثل إلا الشكل التراجيدي للتهكم. لن نستطيع العبور إليه من خلال البسمات: بل فقط من خلال التنهدات، التي قد تكون اختنقت نهائيا .

فعلا فالتهكم الذاتي هو تعبير عن اليأس: فبعد أن أضعت هذا العالم، أضعت نفسك. انفجار ضحكتك المبتئسة كل حركة من حركاتك؛ على أنقاض الابتسامة الرقيقة ومداعبة التلقائية تنهض ابتسامة الاحتضار، أكثر تشنجا من الأقنعة البدائية وأكثر احتفالية من الرموز الفرعونية المصرية .

حول البؤس

مقتنعا إن البؤس مرتبط بشكل وثيق بالوجود، لم أستطع الانخراط في أي مذهب بشري. لقد ظهرت لي كل المذاهب البشرية مخادعة كما هي وهمية. وحده الصمت بدا لي صراخا حقيقيا. الحيوانات -التي يعيش كل واحد منها حسب جهوده الخاصة لا تعرف البؤس، لأنّها لا تعرف الطبقية والاستغلال. لا تبرز ظاهرة البؤس إلا عند الإنسان، فهو الوحيد الذي أذلَّ شبيهه، وحظه الإنسان قادر على هذا القدر الكبير من احتقار نفسه .

كل ما في العالم من رحمة إنما يلفت الانتباه إلى البؤس، ويجعل منه متمردا أكثر من الضيق المطلق. أمام البؤس كما أمام الأنقاض تماما نرثي غياب انسانية، ونتأسف أنّ الناس لا يغيرون نهائيا ما هم قادرون على تغييره. يمتزج هذا الإحساس بالإحساس بأبدية البؤس وطبيعتها الحتمية. رغم معرفتنا أنه بإمكان الناس القضاء على البؤس، فنحن على وعي باستمرارية البؤس وسننتهي إلى مكابدة حيرة مريرة غير اعتيادية، حالة نفسية مضطربة ومتناقضة حيث يبدو الإنسان في كامل رخاوته وضآلته. ليس البؤس الموضوعي للحياة الخارجية

سوى انعكاسا ساحبا للبؤس الداخلي. مجرد التفكير في ذلك، يجعلني أفقد أي رغبة في الحياة. يتوجَّب عليَّ أن ألقي بقلمي بعيدًا لأقيم في كوخ متداع. يستبدُّ بي يأس قاتل حين أتحدث البؤس المرعب للإنسان، قذارته ونذالته. فعوض معالجة نظريات والانشغال بايديولوجبات، فهذا الإنسان الواقعي يجد من الأفضل منح قميص - كحركة تفهم وتقارب. يُلوِّث وجود البؤس الإنسان أكثر من أي شيء آخر ويؤكد أنّ هذا الحيوان المتعاظم منذور لنهاية كارثية. أخجل من وجود الموسيقى في الوجود أمام ما أراه من بؤس. تكوِّن اللاعدالة جوهر الحياة الإجتماعية. كيف يمكن والحال هذه، الانخراط في أي مذهب مهما كان؟

يدمر البؤس كل شيء في الحياة، يجعلها مريضة، بشعة، شبحية. هناك الشحوب السقراطي وشحوب البؤس: الشحوب لأول مأتاه التهذُّب، والثاني مأتاه التحنيط. ذلك أنّ البؤس يجعل منك نفسك شبحا، تصنع ظلال حياة وتجليات غريبة، أشكالا غسقية كما لو أنّها خارجة من حريق كوني. لا أثر اطلاقا لأي تطهير في انقباضاته؛ فقط الكراهية، التقزز واللحم الساخط. لا يلد البؤس سوى المرض وروحًا بريئة وملائكية، ليس تواضعا بريئا؛ هو تواضع مسموم، رديء وحقود، والتوافق الذي تنتهجه يُخفي جراحا وآلاما حادة.

لا أريد تمردا نسبيا ضد اللاعدالة. لا أعترف إلا بالتمرد الأبدي، لأنّ بؤس البشرية أبدي.

هروب المسيح

لا أحب الأنبياء ولا المتعصبين أيضا الذين لم يشكوا أبدا في مهمتهم ولا في عقيدتهم. أقيس قيمة الأنبياء بقدرتهم على الشك، بتذبذب حالات تجليهم. رغم أنّ الشك وحده يجعل منهم انسانيين فعلا، فهو عندهم مدعاة لاضطراب أكثر أشد مما عند بقية الناس. ما تبقى لبس إلا تصلبا، موعظة أخلاقية وبيداغوجية. يدَّعون أنهم يعلِّمون الآخرين، يأتونهم بالخلاص، يكشفون لهم سبيل الحقيقة ويغيرون من مصيرهم، كما لو أنّ يقينهم أهم من يقين اتباعهم. وحده معيار الشك يسمح بالتمييز بين الأنبياء والدجالين. ألن يشكوا بعد ذلك؟

ألم يشكَّ ذاك الذي ادَّعى أنّه ابن الله في آخر لحظات حياته: لأنّ المسيح لم يتردد إلا مرة واحدة، ليس وهو على الجبل، ولكن وهو مصلوب. أعتقدُ إنّ المسيح اشتهى مصير الإنسان المجهول جدا، وأنه، لو استطاع لانسحب إلى الركن الأشد عتمة على الأرض، حيث لن يطلب منه أيّ انسان أملا أو خلاصًا. بإمكاننا أن نتخيله وحيدا صحبة الجند الرومان، سيتوسل إليهم أن ينزعوا المسامير عنه وينزلونه

من على خشبة الصلب، لكي يستطيع الهروب بعيدا، حيث لن يصله صدى الآلام البشرية. ليس لأن المسيح توقف فجأة عن الإيمان برسالته- لقد اتخذ منأى بعيدا عن أن يكون شكوكيا - لكنه من الصعب كثيرًا الموت من أجل الآخرين عوض الموت من أجل النفس ذاتها. عانى المسيح الصلبَ، وهو على وعي أنّ التضحية بنفسه ستجعل من رسالته تنتصر .

هكذا الناس: حتى يعتقدوا فيك، عليك أن تتخلى عن كل شيء تمتلكه، وتتخلَّى عن نفسك أيضا. يُطالبون بموتك ضمانة لأصالة عقيدتك. لم يحبون الأعمال المكتوبة في الدم؟ لأنّ ذلك يوفِّر عليهم الألم، أو على الأقلّ يوهمهم بذلك. يريدون أن يجدوا دما ودموعا فيما وراء كلامك. فالسادية هي ما يصنع عشق المجموعة .

لم يكن للمسيحية أن تنتصر لو لم يمت المسيح مصلوبا. يرتاب الموتى من كل شيء - الموت. فموت المسيح يمثل لهم اليقين الأسمى، الدليل الأقوى لشرعية المبادئ المسيحية.كان بإمكان المسيح الإفلات من الصلب، أو الاستسلام لاغراءات الشيطان. من لا يتحالف مع الشيطان لا يملك أي سبب للعيش، لأن الشيطان يعبِّر عن الحياة رمزيا أفضل من الله نفسه. وإذا حدث وندمت على شيء ما فذلك يعني أن الشيطان لم يْغوِنِي كفاية... لكن الله هو أيضا لم يَهُمُّه أمري بشكل مخصوص. لم يدرك المسيحيون أبدا أن الله بعيد عن الناس أكثر مما هم بعيدون عنه. وإني لأتخيل جيدا إلاها مغتاظا من غثاثة خلقه

متقزِّزًا من الأرض ومن السماوات، وأراه منطلقا نحو العدم، تماما كما المسيح يترك صليبه .

ما الذي كان سيحدث لو أنّ الجنود الرومان استمعوا لعذابات المسيح، أنزلوه من الصليب، وتركوه يذهب لشأنه؟ ولن يكون التحاقه بالطرف الآخر من العالم طبعا من أجل التبشير بتعاليم دينه، لكن ليموت وحده بمعزل عن الدموع وشفقة الناس. حتى ولو من قبيل الصدفة لم يتوسل المسيح الجنود لإطلاق سراحه، لا أعتقد أنّ فكرة التوسل هذه لم تراوده. هو يعتقد دونما أي شك أنّه ابن الله، غير إن هذا لن يمنعه من الارتياب والخوف من الموت حالما يجد نفسه في مباشرة عملية التضحية. ومن المؤكد أنه خلال عملية الصلب ولبعض لحظات ارتاب من أنّه ابن الله أو على الأقل ندم لكونه كذلك .

غير مستبعد أن المسيح كان في الحقيقة شخصًا لا يعاني من تعقيدات داخلية كما نتصور، وكانت له ارتيابات أقل كان أقل ندما. فلم يعاني ذلك إلا على عتبة الموت ساعة ارتقائه المقدس. أمّا نحن الآخرون فلدينا الكثير من الارتياب ومن الندامات إلى درجة أنّه لا أحد منا يعتقد أنّه ابن الله .

أكره في المسيح كل ما هو موعظة، أخلاق، وعود ويقين. وأحبّ فيه لحظات تردده- تلك اللحظات التراجيدية الفعلية لوجوده، والتي لا تبدو لي الأهم ولا الأشد توجعا التي قد نتصورها. ذلك أنّه إذا

كان يمكن للوجع أن يقوم بدور المعيار، فكم من واحد سيعتبر نفسه ابن الله مثل المسيح؟

تَعَبُدُ اللامتناهي

لا أستطيع أن أتحدّث عن اللامتناهي دون الشعور بإحساس مضاعف داخلي وخارجي- كما لو أنني وأنا أغادر وجودا منضبطا، أندفعُ في دوامة، أتحرّكُ في المدى الواسع بسرعة الفكرة. تتجه هذه المسافة نحو نقطة أبدية مغلقة. كلما فلتت هذه المسافة نحو بعد لا يمكن الإمساك به، بدا الدوار أشد كثافة. تعرجاتها الغريبة جدا بالنسبة إلى خفة اللطافة، ترسم هالات أشد تعقيدا من اللهب الكوني. فكل شيء إنّما هو ارتجاج ورجفان؛ ويبدو أنّ كل العالم يتحرك بإيقاع مجنون، كما لو أنّها علامات القيامة. ليس هناك من احساس عميق باللامتناهي من دون هذا الحس الغريب، التقشعر باقتراب النهاية. وبشكل مفارق ، يُكرِّس اللامتناهي في نفس الوقت الشعور بنهاية يمكن العبور منها لكن اليقين بعدم القدرة على الاقتراب منها. فاللامتناهي- في الفضاء كما في الزمن - لا يؤدي في آخر الأمر إلى أي شيء. كيف يمكننا أن ننجز أي شيء في المستقبل، في حين لدينا خلفنا أبديّة من اللّامنجز. لو كان للعالم معنى، كان لدينا في ساعتنا الأولى حقيقته. كيف يمكن تصوّر أنّه قد يتجلى مستقبلا؟ لكن العالم ليس له

أي معنى؛ لاواقعي في جوهره. فهو مزيدا وزيادة اللامتناهي. وفعلا ليس بالإمكان تصوّر المعنى إلّا في عالم منته، حيث يصير بالإمكان الوصول إلى شيء ما؛ عالم لا يتسامح مع الارتداد، عالم حيث معالمه موثوق بها ومحددة بدقة، عالم شبيه بحكاية متقاربة، كما تفكر في ذلك نظرية التطور. لا شيء قد يُثبت اللامتناهي دونما اضطراب عميق، متفرد. كيف لا يمكن أن نكون مضطربين فعلا مادامت كلّ الاتجاهات واحدة.

يُلغي اللامتناهي كل محاولة لحل مشكلة المعنى. تمنحني هذه الاستحالة شهوة شيطانية، بل وأستمتع كثيرا لغياب المعنى. فما فائدته، في النهاية ؟ ألا يمكننا فعلا الاستغناء عنه؟ ألا يمتلئ اللامعنى بسَكْرَة اللاواقعية، بتَهَتُّكٍ مستمرٍ؟ وطالما أنّ العالم فاقد للمعنى، فلنحيا إذا! طالما أنّه ليس لدينا أي هدف محدد، أي مثال ممكن، ولنلق أنفسنا في الدوار المرعب للامتناهي، ولنتبع تعرجاته في الفضاء، ولنفن في لهيبه، ولنحبه لجنونه الكوني ولفوضاه الشاملة. تمثل هذه الأخيرةجزءًا من تجربة اللامتناهي-فوضى عضوية لا يمكن إصلاحها. من المستحيل تَمَثُّل الفوضى الكونية إذا لم نحمل بذورها في دواخلنا. وليحيا اللامتناهي، فالتفكير فيه طويلا كمثل تلقي أشد الدروس رعبا في التمرد. يبعثرك اللامتناهي و يُحيِّرك، يُهشم أسس ذاتك، لكن في نفس الوقت يجعلك لا تهتم بكل ما ليس له معنى، كل ما هو محتمل.

أي ارتياح أكثر من القدرة على فقدان أي أمل، الارتماء في اللامتناهي، الغرق بكل قوة في اللامحدود، المشاركة في الفوضى العالمية وتوترات هذا الدوار! الركض مدفوعا بسباق مُنْهِكٍ، خلال كل جنون حركة متواصلة، الفناء في الوثبة الأشد درامية، نفكر في الموت أكثر من جنوننا الذاتي، تحقيق حلم البربرية العالمية وإثارة بلا حدود!

بلغة الدوار، لا شيء في سقطتنا مما يظل على انطفاء متنام، بل لنواصل هذا الاحتضار الجنوني في فوضى هذه الدوامة الأولية. ليستطيع تفخيم اللامتناهي من تهييجنا أكثر في عزلة الموت، حتى يكون عبورنا نحو العدم شبيها بالاستنارة، لتُضَخِّم العجيب أكثر من قبل ولا معنى العالم! في التعقيد الغريب للامتناهي، نعثر، كعنصر أساسي، على النفي الكلي للشكل، لمخطط محدد. باعتباره مسارا مطلقا يلغي اللامتناهي كل ما هو ثابت، متجمد، منته. أليست الموسيقى هي الفن الذي يعبر بشكل أفضل عن اللامتناهي، تُذيب الأشكال في انسيابية لها سحر فائق الوصف؟ عادة ما ينزع الشكل إلى إتمام الشذرة، وجعل محتواه فردانيا، كما ينزع إلى إلغاء أفق اللامتناهي والكوني؛ لا توجد الأشكال إلا لانتشال محتويات الحياة من الخواء والفوضى. تكشف كل رؤيا عميقة كم أنّ قوة الأشكال وهمية مقارنة بدوار اللامحدود، إلى جانب هذا التجمد الزائل، يظهر الواقع كما لو أنّه نبض متكثف. يأتي الميل نحو الأشكال من الاستسلام للنهائي ولإغراءات هشة الحدود، تقصي وإلى الأبد الكشوفات الميتافيزيقية.

وعلى غرار الموسيقى فالميتافيزيقيا تنبثق من تجربة اللانهائي. وتزدهر كل واحدة منهما عند الأعالي حمَّالي حالات الدوار. لم أفهم إطلاقا لم أنّ من أنتجوا أعمالا ابداعية ذات شأن كبير في الموسيقى والميتافزيقيا لم يصبحوا مجانين. تتطلب الموسيقى أكثر من كل الفنون توترا هائلا إلى درجة أن نقع بعد لحظات في التيه. كان على الموسيقيين الكبار أن ينتحروا أو يفقدوا عقولهم لو كان العالم يتبع ترابطا منطقيا متلازما وضروريا.ألا يجد كل من يفتنه اللامتناهي نفسه على درب الهذيان؟ ليس لنا سوى أن نكون عاديين أو لا عاديين. فلنحيا في نشوة اللامتناهي، ولنعشق كل ما ليس له حدود، ولنحطم الأشكال ولنخلق التعبد الوحيد الذي هو استثناء: اللامتناهي .

تجلي التفاهة

بما إنني لا أنطفئ بسرعة ولا أستطيع بلوغ البساطة، من الجنون الإستمرار في القيام بالحركات المعتادة لكل الأيام. يجب تحمل التفاهة في كل لحظة، للعبور نحو التجلِّي، نحو التعبيرية المُطلقة. أي حزن هذا في رؤية الناس تعبر حذو أنفسهم ذاتها، لا يُلقون بالا لمصائرهم عوض أن يؤججوا الأنوار التي يحملونها في داخلهم دائما أو ينتشون بأعماقهم السرية!

لماذا لا يجب أن نستخرج من الألم كل ما يمكن أن يهبه لنا وزرع ابتسامة حيث الأعماق حيث ينبع الألم؟ كلّنا لدينا أيادي، ورغم ذلك لا أحد فكر في استغلال يديه وجعلهما على الأقل مُعبرتين. نحبها بشغف في الرسم، نحب الحديث عن معانيها، لكن لا نعرف كيف نجعل منها مُترجمة لما نعانيه من دراما داخلية. أن تكون اليد شبحية، شفافة، شبيهة بانعكاس مُجُرَّد، يد عصبية، مشدودة بانقباض تام... أو أيضا يدًا ثقيلة مهدِّدة، مرعبة. حضور هذه الأيادي وهيأتها يقولان أكثر من الكلام، من الانتحاب، من الابتسام أو من الصلاة. فالتعبيرية الشاملة هي ثمرة تجل متواصل، تجعل من حضورنا مأوى

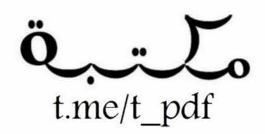
من نور ، إن كان وجهنا وبشكل عام كل ما يميز فردانيتنا بط ينجح في ذلك. نلتقي بكائنات حيث حضورهم فقط يعني بالنسبة إلى الآخرين حركية، عياء، أو أيضا استنارة. حضورهم مُخصب وحاسم: انسيابي، متفلت، يبدو كما لو أنّها تأسرك في شباك مُجرَّدة. هذا النوع من الناس لا يعرف الفراغ والتقطع؛ لا يعرف سوى وحدة الشعور والمشاركة بما هما انتاج التجلي المستمر، حيث المرتفعات هي حالات دوار كما هي شهوات .

أحس باكتئاب غريب يتسلل داخل كامل جسمي؛ هل هو الخوف من مستقبل وجودي الإشكالي، أم هو الاضطراب الذي تلقي بي فيه حيرتي الخاصة؟ هل سأستطيع مواصلة الحياة بمثل هذه الوساوس؟ هل أن ما أشعر به، هو الحياة أم هو حلم لا معنى له؟ يبدو أن هناكَ فانتازيا ساخرة لوحش تُحاك في داخلي. أليس اكتئابي زهرة تنمر في حديقة كائن قيامي؟ يبدو ان شيطانية هذا العالم تركَّزت بكاملها في حيرتي - مزيج من الندامات، من الرؤى الغسقية، من الحزن واللاواقعية. وما يسكبني على الكون ليس على الإطلاق أريجا ربيعيا، لكنه دخان وغبار انهيار كامل .

بطء الحزن

هل هناك من حزن آخر غير ذاك المتعلق بالموت؟ طبعا، لا، بما إن الحزن الحقيقي أسود خال من السحر. يُشيع ضجرا لا مجال للمقارنة اطلاقا بينه وبين المالينخوليا. ضجرا يبعث على التقزز من الحياة واكتئابا لا دواء له. يختلف الحزن عن الألم لأنّه يهيمن على رد الفعل، في حين أنّ الألم يتحمل المادية الإغوائية للأحاسيس. قد يؤدي كلّ من الحزن والألم إلى الموت- ولن يؤديا أبدا إلى الحب ولا الإثارة. تصنع قيم الإيروس الحياة في الحال وللضرورة السرية للحياة ودونما وساطة، والتي - بالنظر إلى البساطة الجوهرية لكل تجربة ايروسية- تبدو كما لو أنّها حرية. أن تكون حزينا وتشكو، هذا بالعكس، يعني أنّك عاجز عن القيام بحركة عضوية على صلة وثيقة بتدفق الحياة. يكشف الحزن والألم لنا الوجود، فبهما نعي عزلتنا؛ وهما يثيران فينا قلقا حيث يتجذر الإحساس التراجيدي للوجود.

المهانة من خلال العمل



يعمل الناس عموما كثيرا من أجل البقاء أكثر كما هم أنفسهم: هو لعنة حوَّلها الإنسان إلى شهوة. يعمل بكل ما لديه من قوّة حبا فقط في العمل، يستلُّ بهجة من جهد لن يؤدي إلا إلى إنجازٍ لا قيمة له، مُقدِّرا إنّه لا يستطيع تحقيق وجوده بشكل آخر إلّا عبر عمل لا يتوقف – إنّهُ شيء ثوري وغير مفهوم. العمل الدائم والمستمر، أبله، تافه ويُجرد الإنسان من شخصيته. ينتقل مركز اهتمام الفرد من مركزه الذاتي منطقية تافهة؛ لن يهتم الإنسان إذا بمصيره الذاتي بنموه الداخلي، ليتعلق بأي شيء آخر: العمل الحقيقي، الذي يتوجّب أن يكون نشاطا بتجل مستمر، أصبح وسيلة تجسيد جعلته يبارح حميمية ذاته. ومن الدال أنّ المقصود به من العمل في حد ذاته كعمل هو نشاط خارجي بالأساس: ألم يتحقق الإنسان من ذلك، بلى هو متأكد من ذلك، أن يمارس كل واحد عملا ويتبع أسلوب حياة لا يناسبه في أغلب الأحيان، ما يؤكد هذا الميل للمهانة من خلال العمل. يرى الإنسان في جملة أشكال العمل ربحا معتبرا؛ غير أنّ هوسه بالعمل يُثبت منزعا نحو الشر في داخله. ينسى الإنسان نفسه خلال العمل؛

وهذا لا يفتح على بساطة ناعمة ولكن على حالة مجاورة من الغباء. لقد حول العمل الموضوع الإنساني إلى شيء وجعل من الإنسان حيوانا أخطأ في خيانة أصوله.فعوض أن يحيا لنفسه - ليس بمعنى الأنانية، بل من أجل الانشراح - جعل الإنسان من نفسه عبدا مدعاة للشفقة عاجزا عن إدراك الحقيقة الخارجية. أين يمكن العثور على الانتشاء، الرؤيا والإثارة؟ أين هو الجنون المطلق، والشهوة أصيلة الشر؟ الشهوة السلبية التي نعثر عليها في عبادة العمل هي على صلة وثيقة بدرجة أولى بالبؤس وبالسطحية، وبرثاثة كريهة. لم لا يقرر الناس القطع فجأة مع عنائهم ليشرعوا في عمل جديد، لا يشبه في شيء العمل الذي التزموا به الى حد الان دون جدوى؟ الا يكفي ان يكون لديهم وعي ذاتي بالأبدية. فإن كان النشاط الجنوني، العمل المتواصل والرجفان قد دمروا شيئا فليس سوى معنى الأبدية، والتي يعتبر العمل نفيها. كلما زاد الركض من الظفر بأرباح وقتية تضاعف العناء اليومي،أصبحت الأبدية أبعد وممنوعة. من هنا تُشتَقُّ الآفاق القصيرة النظر للذهنيات المأخوذة، سطحية تفكيرهم وأعمالهم. رغم أنّي لا أعارض في العمل لا التأمل السلبي ولا الحلمية الضبابية،لكن تلك المحاولة للتجلي غير الممكن للاسف. أُفَضِّل على الأقل كسلا متفهما على نشاط هوسي وغير رحيم. لا بد من إثارة الكسل، لإيقاظ العالم. ذلك أنّ الكسول لديه أكثر من معنى على المستوى الميتافيزيقي من الكثير الحركة .

أجدني منجذبا بكل ما هو بعيد، بكل ما هو فارغ ينعكس مني

على العالم. يصاعد في داخلي إحساس بالفراغيعبر أعضائي ومكوناتي كسائل غير محسوس وخفيف. من دون أن أعرف لماذا، أحس في هذا التنامي المستمر في هذا الفراغ الذي يتمدد حتى اللامتناهي بالحضور العجيب للمشاعر الأشد تناقضا والتي بإمكانها إصابة الروح. إنّني سعيد وفي نفس الوقت شقي. أكابد الإثارة والكآبة في نفس الوقت، مغمور باليأس والشهوة في قلب الهارمونية الأكثر بلبلة. مبتهج جدا وحزين جدا إلى درجة أنّ دموعي لها انعكاسات من السماء ومن الجحيم. بسبب بهجة حزني كم أحبُّ لو أنّ هذه الأرض لا تعرف الموت .

معنى النهائي

لا أستطيع التحدث إلا عن المباهج والأحزان الأخيرة. لا أعشق إلاَّ ما ينكشف دون تحفُّظ، دونما شُبُهات أو تكتُّم. وبالتالي هل من الممكن أن نعثر على مثل هذا في غير التشنُّجات والتوترات القصوى، جنون النهاية، سكرة اللحظات الأخيرة وتهيّجها؟ أليس كل شيء نهائي؟ ماهي إذا كآبة العدم إن لم تكن بهجة الأحزان الأخيرة، الحبُّ المُتَّقد بأبدية الفراغ والوجود المؤقت؟ ألا يمكن أن تكون لنا هذه الكآبة منفى، والعدم وطنا؟

عليَّ أن أخوض حربا ضد نفسي، أتحرَّر ضد قدري، أُفجّر كل العوائق الحائلة دوني والتجلِّي. رغبتي القصوى في الظلمات والنور هذا فقط ما يجب أن يبقى. ولتكن كل خطوة لي انتصارا أو انكسارا، تحليقا أو فشلا. ولتكبر الحياة وتموت في داخلي من خلال تداول صاعق. ولا شيء من الحسابات الحقيرة ولا الرؤيا الواقعية للوجود العادي يُلوِّث شهوات فوضاي وعذاباتها، اللَّذات التراجيدية لمباهجي وحالات يأسي النهائية.

أن أظلَّ حيا برغم التوترات العضوية وحالات النفس القصوى فهذا دليل غباوة ولا يعني إطلاقا مكابدة. فما الداعي إذا من عودة إلى

سطحية هذا الوجود؟ وليس فقط إثر تجربة العدم سوف تبدو لي الحياة بلا معنى بل إثر ذروة الشهوة أيضا. لن أفهم إطلاقا لمَ لا أحد ينتحر خلال رعشة الجماع، لم لا يبدو البقاء إثر ذلك مُسطَّحا وفظا. تلك الرعشة المكثفة جدا ولكنها خاطفة بإمكانها أن تُفني ذاتنا في أقل من ثانية. وطالما أنّها لا تقتلنا لمَ لا نقتل أنفسنا؟ هناك طرق عدة للموت. ورغم ذلك لا أحد يمتلك من الشجاعة والأصالة لاختيار نهاية لها ميزة الاندفاع نحو العدم في قمة الالتذاذ دون أن تكون أقل تطرفا من النهايات الأخرى. لمَ نمرُّ بجانب مسالك كهذه؟ سوف تكفي التماعة بصفاء هائل عند قمة الإغماء الذي لا بد منه كي لا يظهر الموت في تلك اللحظات كما لو أنّه وهم.

إن استطاع الناس يوما عدم احتمال الرتابة، فظاظة الوجود، ستكون كل تجربة قصوى مبررا للانتحار. استحالة البقاء في مواجهة استثارة استثنائية سوف تُنهي الوجود. لن يستغرب أحد بعد ذلك لماذا نتساءل حول انتهاز مواصلة الحياة من عدمها إثر الإنصات إلى بعض السمفونيات أو تأمل مشاهد متفردة الجمال.

تتعلق تراجيديا الإنسان، حيوان منفي في الوجود بعدم قدرته على الرضا بمعطيات الحياة وقيمها. الحياة، هي كل شيء بالنسبة إلى الحيوان؛ وبالنسبة إلى لإنسان هي نقطة استفهام. نقطة استفهام نهائية، لأن الإنسان لم يتلقَّ أبدا ولن يتلقَّى إجابة عن أسئلته. ليس فقط إن الحياة لا معنى لها ولكن لن يكون لها أي معنى.

في المبدأ الشيطاني للألم

إنّ كان هناك سعداء على هذه الأرض، لم لا يهتفون، لم لا ينزلون إلى الشوارع يُعلنون بهجتهم؟ لمَ كل هذا التخفِّي، كل هذا التحفُّظ؟ لو تملك بي شعور دائم بالبهجة في داخلي، نزوع قاهر نحو الهدوء، سوف اتشارك فيه مع كل الآخرين، وأمنح غبطتي فسحة حرة.

إن كانت السعادة موجودة، فَلْنُطْلِقْهَا. لكن ربما من هم سعداء فعلا غير واعين بهذه السعادة. وإذا كان الأمر كذلك فَلْنَمْنَحْهم شيئا من وعينا، مقابل شيئا من لا وعيهم. لمَ ليس للألم غير الصراخ والدموع، وليس للمتعة غير الارتعاش؟ لو يمتلك الإنسان وعيا بالمتعة كما يمتلكه بالنسبة إلى الألم، لن يكون في حاجة لتسوُّل مباهجه. ألن يكون توزيع الآلام والمباهج أكثر عدلا؟

إن كان من غير الممكن نسيان الآلام، فذلك لأنها تقتحم الوعي عشوائيا. لذلك، فالذين لديهم الكثير لينسوه هم أولئك الذين تألموا كثيرا. وحدهم الناس العاديين ليس لهم ما ينسوه.

فبينما للآلام ثقل وفردانية، تمَّحي المتع وتذوب كما لو أنّها أشكال

بحدود سيئة التشكيل. وإننا لنجد صعوبة كبيرة في استعادة متعة وظروفها، رغم أنّ تذكُّرَها يأتي ليدعم الألم. وبالتأكيد فالمُتَع لا تُنْسَى دفعة واحدة - فمن حياة ممتعة، لن نحتفظ منها في السنوات الأخيرة من العمر إلا ببعض التقزز، بينما ذاك الذي تألم كثيرا يصل في أحسن الأحوال إلى حالة رِضًى مريرة.

وإنه لحكم مُسّبَّقٌ مُخجل تأكيد إن المتع أنانية وتقطع الإنسان عن الحياة، تماما كالادِّعاء إنّ الآلام تشُدُّنا إلى الحياة. التفاهة المتمردة لهذه الأحكام المُسبَّقة، وجذورها المُدَوَّنة في الكتب تفضح لا جدوى كل المكتبات مقارنة بتجربة معيشة إلى الحد الأقصى.

إن التصور المسيحي الذي يجعل من الألم الدرب الوحيد نحو الحب، إن لم يكن الباب الوحيد الذي يُمكن الولوج عبره، هو تصور مُضَلِّلٌ بالأساس. ولكن هل هذا هو المجال الوحيد الذي أخطأت فيه المسيحية؟ بأن جعلت من الألم درب الحب، نحن نجهل كل شيء عن جوهرها الشيطاني. فسلالم التألُّم لا تصعد - تنزل؛ لا تؤدي إلى السماء بل إلى الجحيم.

يُفرِّق الألم، يُفكِّكُ، قوة نابذة، تنتزع الفرد من قلب الحياة، من مركز جاذبية العالم، حيث ينزع كل شيء نحو الوحدة. يتميَّز المبدأ المُقدَّس بالسعي نحو التأليف والمساهمة في الجوهر الكلِّي. وفي المقابل، فالمبدأ الشيطاني يسكن الشكوى - مبدأ الانخلاع وتراجيديا الازدواجية.

تجعلك مختلف أشكال البهجة تشارك بعفوية في إيقاع الحياة؛ تندمج فيه، دونما وعي، في تواصل مع دينامية الوجود، كل عصب من أعصابك مرتبط بنبضاتك اللامعقولة لكل شيء. وهو ما لا يتعلق فقط بالمباهج الروحية فقط، بل بكل أشكال المتع .

الإنفصال الذي يُحدثه الألم عن العالم يؤدي إلى استبطان متتال وفي نفس الوقت بشكل مقابل إلى الرفع من درجة الوعي، إلى درجة أنّ العالم كله بمفاتنه وظلماته يصبح خارجيا متعال. في هذه النقطة من الإنفصال حيث يكون المرء وحده ولا دواء له لذلك ، يجد نفسه في مواجهة العالم، فكيف يمكن نسيان أي شيء؟ نشعر وقتها بالحاجة إلى نسيان التجارب المؤلمة فقط .

إذا، ومن خلال مفارقة لافتة، تمَّحي الذكريات عن الذين يرغبون في التذكُّر، في حين يَثبُتُ التذكر المبهم عند أولئك الذين ينشدون النسيان .

ينقسم الناس إلى صنفين: أولئك الذين يمنحهم العالم فرص الاستبطان وأولئك الذين يظل العالم بالنسبة إليهم خارجيا ومنطقيا. بالنسبة إلى الاستبطان فالوجود المنطقي ليس إلا تِعِلَّة. هكذا سوف يُصبح لهذا الوجود دلالة، فلن تتأسَّس غائية منطقية ولن تجد لها من مُبرر إلا عن طريق بعض الأوهام والتي تكفي نظرة ثاقبة لنزع أقنعتها بكل ارتياح. جميع الناس يشاهدون نيرانا وعواصف، أنقاضا منهارة أومشاهد خلّابة؛ لكن كم منهم يرون لهبا، بروقا، دوخات أو

هارمونيات؟ كم منهم يُفكر في اللطافة وفي الموت وهم يتابعون مشهد حريق؟ كم منهم يحملون في داخلهم جمالا عميقا يُزخرف مالنخوليتهم؟ أما الحياة بالنسبة إلى اللامبالين أولئك الذين لا تمنحهم الطبيعة سوى صورة شاحبة وجليدية فهي ليست سوى جملة من الفرص الضائعة حتى ولو أفعمتهم سعادة .

آلامي بما هي عميقة جدا، عزلتي بما هي شاسعة جدا فالمسافة التي فصلتني عن العالم لم تفعل أكثر من أن تفتح لي المعابر إليه. رغم أني لم أعثر على أي معنى منطقي له، ولا نهاية متسامية، لم يحقق تعدد أشكال الوجود في داخلي سوى فرصة دائمة للحزن والافتتان. لقد عشت لحظات حيث جمال وردة يبرر لي في عينيَّ فكرة قصدية الكونية، كما أمكن للغيم القليل أن يفتخر برؤيتي المعتمة للأشياء. المنذهلون بالاستبطان قادرون على اقتباس الصيغة الأشد لا معنوية للطبيعة من خلال رؤيا رمزية .

هل من الممكن أن أجرَّ خلفي كل ما لم أشاهده؟ إنني مرتعب من فكرة إن عددا لا بأس به من المشاهد، من الكتب، من الأهوال والرؤى المهيبة استطاعت أن تتجمع في دماغ بسيط. لديَّ انطباع أنّها نقلت نفسها في داخلي كما لو أنّها حقائق وأثقلت عليَّ. لهذا السبب أشعرُ أحيانا إنني مرهق إلى درجة الرغبة في نسيان كل شيء. يؤدي الإستبطان إلى الإنهيار، لأن العالم يلجك ويفترسك غصبا. مع ذلك، ما الغريب في الأمر، إن كان البعض يركض نحو أي شيء - من

ليس لي أفكار بل هي وساوس. بإمكان كل واحد أن تكون عنده أفكار. لم يحدث أن كانت الأفكار في يوم ما سببا لانهيار أي شيء.

الحيوان الملتوي

لكل الناس نفس الخطأ: ينتظرون أن يعيشوا، فليس لهم شجاعة كل ثانية. لمَ لا يكشفون الكثير من الولع والحماسة ويجعلون من ذلك أبدية؟ فنحن كلنا، لا نتعلم الحياة إلاَّ عند اللحظة التي لم يعد لنا فيها ما ننتظرُ؛ كلما انتظرنا، لا نستطيع تعلُّم أيَّ شيء، ذلك إننا لا نُقيم في حاضر محسوس وحيوي، ولكن نُقيم في مستقبل متنائي، مسخ. لا يجب أن ننتظر أيَّ شيء، ما عدا الإيحاءات المستعجلة للَّحظة،لا ننتظر أي شيء سوى وعي الزمن. خارج الحاضر، نقطة خلاص. ذلك، لأن الإنسان كائن أضاع الراهن. أليس هو حيوان ملتوٍ .

الحقيقة المستحيلة

متى تبدأ سعادتنا؟ حين نمتلك اليقين أنّ الحقيقة لا وجود لها. كل طرق الخلاص ممكنة ابتداء من هنا، حتى ذلك الخلاص باللاشيء. لمن لا يعتقد في استحالة الحقيقة، أو ذاك الذي لا يستمتع بها، لم يبق إلّا سبيل واحد للخلاص، لن يعثر عليه اطلاقا .

ذاتانية

المبالغة الزائدة في الذاتانية لا يمكن أن يؤدي بمن لا عقيدة له إلا إلى جنون العظمة أو التحقير الذاتي. حين نميل كثيرا نحو أنفسنا، نجد أنّنا نُحبنا بشكل لا واع أو نكرهنا بطريقة عشوائية. ونرهق أنفسنا في كلتا الحالتين. تجعلك الذاتانية إلاها أو شيطانا .

إنسان

على الإنسان أن يتوقف - أو يصبح - حيوانا موهوبا بالعقل. من الأفضل أن يصبح كائنا بلا معنى بإمكانه أن يخسر كل شيء في أي لحظة - كائن قادر على الاستثارات والاستيهامات الخطيرة، ويُمكن أن يموت بسبب كل ما تمنحه الحياة وما لا تمنحه. على كل إنسان أن يكون له مثال واحد هو التوقف عن أن يكون إنسانا. ولن يحدث هذا إلا بانتصار المطلق التعسفي .

الحب في إيجاز

ينبعُ حب الإنسانية من الألم شبيه الحكمة الناتجة عن الأسى. في كلتا الحالتين، الجذور متعفنة والمنبع مُلوَّثٌ. وحده، حبٌّ تلقائي من ناس عبَّروا عن تفان جديٍّ وحماسة لا تُقهرُ لإخصاب روح الآخرين. يُخفي الحب الناتج عن الألم الكثير من الدموع والتنهدات حتى لا تكون أشعتها مغسولة بصفاء مرير. يحتوي هذا الحب على الكثير من التخلِّي، من التعذُّب والحيرة لِيَدُلَّ على شيء آخر ما هو إلاَّ تراجع شاسع .

يسامح كل شيء ، يقبل كل شيء، يجد مُبَرَّرا لكل شيء؛ هل هو الحب أيضا؟ كيف يُمكن أن نُحبَّ إن كنا مقطوعين عن كل شيء؟ يكشف هذا النوع من الحب عن فراغ روح مأخوذة بين اللاشيء والكل، نفس الشيء، لقب منكسر، تظل الدونجوانية هي السبيل الوحيد والأخير. أما فيما يخُصُّ المسيحية فهي، لا تعرف الحب :لا تعرف سوى الحلم والذي هو مجرد تلميح للحب أكثر منه حبا .

ما الذي يهم

كل شيء ممكن، ولا شيء هو كذلك؛ كل شيء جائز ولا شيء هو كذلك. مهما كان الاتجاه المُتَّبع، فهو ليس أفضل من الاتجاهات الأخرى. تحقيق شيء ما أو عدم تحقيق أي شيء، الإيمان من عدمه، الأمر كله سيان، نفس الشيء كما نصرخ أو نسكت. من الممكن أن نجد مبررا لكل شيء كما لا يكون هناك أي مبرر. كل شيء هو في نفس الوقت واقعي وغير واقعي، منطقي ولا معنى له، بهيٌّ وسطحي، لا شيء أفضل من شيء آخر، تماما كفكرة لا قيمة لها قبالة فكرة أخرى. لم يغتمُّ الواحد منا لحزنه ويغتبط لبهجته. دموعنا غير مهمة سواء كانت بسبب المتعة أو بسبب الألم؟ اعشقوا شقاءكم واكرهوا سعادتكم، امزجوا كل شيء اخلطوا كل شيء! كونوا كما كبّة صوف تتقاذفها الريح، أو كما ورطة تُفَيِئُها الأمواج. قاوموا حين لا يستوجب ذلك وكونوا جبناء حين لا بد من المقاومة. من يدري - قد تفوزون. وفي جميع الأحوال، لن يهم في شيء إن خسرتم؟ فهل هناك ما يمكن خسارته أو ربحه في هذا العالم؟ كل ربح في هذا العالم هو خسارة. لم يجب انتظار موقف بيِّن، أفكار مُحدَّدة وكلمات معيّنة؟ أحس أنّه عليَّ بصق النار بمثابة إجابة عن كل الأسئلة التي لم أتلقّاها .

منابع الشر

كيف يُمكن هزيمة الشقاء؟ بهزيمتنا نحن أنفسنا: من خلال إدراكنا أن من منبع الشقاء يوجد في داخلنا. فإن استطعنا إدراك إن كل شيء في كل لحظة هو على علاقة بصورة منعكسة في وعينا، بتضخيم ذاتي، بحدَّة حِسِّنا، نبلغ وقتها تلك الحال من الوضوح حيث الواقع يستعيد نسبه الحقيقية. لن ندَّعي هنا السعادة ولكنه الشقاء بدرجة أقلّ .

البقاء في اليأس تلك علامة مكابدة، كما لو أنه علامة نقصان ذلك الانزلاق نحو الغباوة إثر شقاء مُطَوَّل. لا بد من تربية حقيقية وجهد داخلي مستمر للتخفيف من حدَّة الألم. غير أنهم منذورون للفشل أولئك الذين يريدون بلوغ السعادة. ومهما فعلنا ،لن نستطيع أن نصبح سعداء إذا ما اتخذنا سبيل الشقاء. باستطاعتنا العبور من السعادة إلى الشقاء، غير إنه طريق بلا عودة. هذا ما يؤكد أن السعادة يًمكن أن تُخفي مفاجآت أشد إيلاما من الشقاء. يجعلنا نرى العالم كما هو؛ بينما الشقاء يجعلنا نرغب في عالم مختلف عما هو. وطالما نحن على وعي أنّ الشقاء يجد جذوره في داخلنا، حتما نقوم بتحويل خطأ ذاتي

إلى نقصان ميتافيزيقي .

لن يكتفي الشقاء أبدًا بمعرفة ظلماته الخاصة وأنوار العالم بعيدة الاحتمال. باتخاذنا لبؤسنا الذاتي شقاء موضوعي، نعتقد إننا نخفف من عنائنا ونوفر على أنفسنا مؤاخذات. غير أنّ هذه المنطقية تزيد من شدة شقائنا، وبتقديمه على أنّه حتمية كونية، تُجرِّدنا من كل قدرة على التخفيف منه أو لجعله أكثر احتمالا .

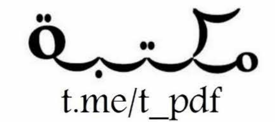
يختزل نظام الشقاء حالات الحيرة والمفاجآت الموجعة، يُلطِّف العذابات ويراقب الشكاوي. ثمَّة هنا إخفاء لدراما داخلية، كتمان للاحتضار .

شعوذة الجمال

حسُّ الجمال حيٌّ جدا إلى درجة أننا بالقرب من السعادة. كلّ شيء يجد في الجمال سببا لوجوده، توازنه الداخلي ومبرره الشخصي. لا يمكن تصور الشيء الجميل إلا كما هو. نغتبط لمشهد طبيعي أو لوحة فنيّة إلى درجة أنّنا لا نستطيع ونحن نتأملهما أن نتمثلهما إلا كما يبدوان لنا. إنما يعود وضع العالم عند علامة الجمال لتأكيد أنّه يجب أن يكون كذلك. من خلال رؤيا كهذه، يظهر كل شيء ألقا و هارمونيا وسوف تزيد من سحرها وبريقها المظاهر السلبية للوجود. لن ينقذ الجمال العالم، لكنه يقرِّب لنا السعادة. هل بالإمكان المحافظة على الجمال في عالم من المتناقضات؟

لا يمثل الجميل - وهنا جاذبيته وطبيعته المميزة- مفارقة إلا من وجهة نظر منطقية. تُفسِّر الظاهرة الجمالية هذه المعجزة: تقديم المطلق من خلال الشكل، موضعة اللانهائي بأشكال مُحدَّدة. المطلق في الشكل-مُجسَّد في عبارة منتهية - لا يمكن أن يتجلَّى إلاَّ لمن اقتحمه الانفعال الجمالي؛ لكن من خلال بعد آخر مختلف تماما عن البعد الجمالي، يصبح تناقضا من حيث هو: المصادرة الأساسية لهذا المثال

والتي تؤكد أنّ العالم هو كما يجب أن يكون، لن تصمد خلال التحليل. كان يمكن للعالم أن يكون كل شيء، عدا ما هو عليه الآن .



رخاوة الانسان

لماذا يصرُّ الناس حتما على تحقيق شيء ما؟ أليس من الأفضل ودون مجال للمقارنة لو أنّهم جلسوا جامدين تحت السماء في هدوء رائق؟ ما الذي هناك لإنجازه؟ لماذا كل هذا السعي وهذا الطموح؟ لقد فقد الانسان معنى الصمت، رغم أنّ الوعي هو ثمرة نقصان حيوي فهو لا يتدخل في نفس كل واحد كعامل لغير التأقلم؛ بالعكس هي تُوَلِّد عند البعض تهييجا للميولات الحيوية. غير قادر على الحياة في الحاضر، يراكم الإنسان فضلة تُثقله وتستعبده. لقد كان الشعور بالمستقبل عنده مصيبة. والمسار الذي من خلاله قسَّم الوعي الناس إلى صنفين كبيرين هو الأشد غرابة. يُفسر كيف أنّ الإنسان كائن رخو، عاجز عن العثور على مكامن طاقته وتوازنه. أولئك الذين أخذهم وعيهم نحو الاستبطان، العذاب والتراجيديا، تماما مثل أولئك الذين ألقى بهم في لج امبريالية لامحدودة من رغبة الكسب والامتلاك، كل على طريقته، أشقياء ولا متوازنين. لقد جعل الوعي من الحيوان انسانا ومن الإنسان وحشا شريرا، غير أنها لم تُحوِّل أي إنسان إلى آلهة، حتى ولو افتخر العالم بإرسال أحدهم على

الصليب. اهربوا من أولئك المحميين من الخطيئة، لأن وجودهم المملّ يثير الضجر. بما سوف يحدثونكم، إن لم يكن حول الأخلاق فقط؟ والذي لم يتجاوز الأخلاق لم يعرف كيف يُعمِّق أي تجربة ولا كيف يُجمِّل انهياراته. يبدأ الوجود الحقيقي حيث تتوقف الأخلاق، لأنه من هنا بالضبط يمكن المغامرة في كل شيء، والرهان على كل شيء، حتى وإن كانت هناك عوائق تقف حائلا دون الإنجاز الكامل الحقيقي. يتوجَّب تجليات لا متناهية لبلوغ المنطقة حيث كل شيء جائز، حيثُ يكن للروح أن تلقي بنفسها في الفظاظة دونما تذمُّر، الجليل أو المدعاة للسخرية، إلى درجة من التعقُّد بحيث إنه ولا اتجاه ولا شكل للحياة يفلتان من قبضته. يُفسح الطغيان الذي يسود الوجود العادي المجال للتلقائية المطلقة لوجود وحيد حامل لقانونه الخاص به. كيف يُمكن للأخلاق وقتها أن تحافظ على مكانتها بالنسبة إلى كائن مُهيَّئ بهذا الشكل-شجاع كما ينبغي، تجريدي إلى درجة إنكار العالم، مانحا كل ما يملكه من ذاته؟ تتعارض المروءة مع الأخلاق، هذه المنطقية المتشددة لطبائع الوعي، هذه الآلية للحياة. كل فعل شجاع هو فعل أخرق يُثبِتُ تخلٍّ لا يُتصَوَّر عند الشخص العادي الذي يلتحف بالأخلاق ليخفي عجزه المألوف. يبدأ كل ما هو أخلاقي حقيقي من لحظة التخلص من الأخلاق. لا تظهر حقارة معاييرها بشكل جلي إلاَّ في إدانتها للخطيئة - هذا التعبير للحسي التراجيدي الناجم عن تمكُّن الروح من اللحم. لأن الخطيئة تتضمن دائما تحليق اللّحم خارج الحتمية، مغامرة لنسف الحواجز التي تأسر

الحماسات الشغوفة. يحمل عجز عضوي الأعصاب واللحم نحو يأس لن يكون بإمكانهما الإفلات منه إلا بتجربة كل أشكال الشهوة الممكنة. تنتج جاذبية الأشكال غير المألوفة في الخطيئة حيرة مضطربة :كما لو أن الذهن يتحوّل إلى دم، ليحرك هكذا قوة ملازمة للحم. وبالفعل لن يكون من الممكن استكشاف الممكن إلا من خلال مساعدة الذهن وتدخل الوعي. فالخطيئة هي شكل من أشكال انتصار الفرد؛ كيف يمكن إذا للحم أن يستعرض الفرد من دون دعم خارجي؟ هذا المزيج من الذهن واللحم، من الوعي والدم، يخلق تفاعلا مُخصبا جدا بالنسبة إلى الفرد حبيس مفاتن الخطيئة. لا شيء يدعو للنفور منه أكثر من خطيئة تم تعلُّمُها، مستعارة ومُصابة؛ فهل أن مديح الخطيئة غير مبرر إطلاقا: إضافة لذلك ألا يمكن استنتاج خصوبتها من خلال ذلك لمن يدركون كيف يجعلونها تتجلّى. تحويل وجهة هذا الانحراف. ليحياه الفرد بشكل خشن وصادم، فلا يستغل إلّا ماديته الفضائحية، غير مهتم بالرعشة المُجرَّدة التي تصنع امتيازه. لإدراك الأعالي لا يمكن للحياة الحميمة أن تخلو الحياة من حيرات الخطيئة. ولا أحد من الخطائين مُدان إذا حوَّل الخطيئة إلى نهاية عوض أن يعتبرها مجرد تبرير .

استسلام

ما هو المسار الذي من خلاله يتحرر الكائن من الوهم؟ تتالي الانهيارات العصبية بشكل متواتر عند شخص يمتلك موهبة التحمس كاف ليعيش كل لحظة بشكل حيوي. تثير الحتمية العضوية انهيارات عصبية مستمرة دون تدخل عوامل خارجية، بل هي تنتأ من عمق داخلي مضطرب: وهذي الأخيرة تخنق الحماسة وتهاجم جذور الحياة. من الخطأ تماما الادعاء أنّ الفرد يتحرر من الوهم بسبب من عجز عضوي أو غريزة فقيرة. وفي الحقيقة لا أحد يفقد أوهامه إن لم يرغب في الحياة بامتلاء، أو بشكل لا واع. لا يتدخل مسار الإزالة إلا من بعد، إثر تلك الانهيارات العصبية. فقط عند شخص ممتلىء بالحماسة بالانجذاب والولع، تمتلك هذه الانهيارات قدرة الجرف، والتي تدهم الحياة كما تغزو الأمواج الأرض اليابسة. لن تنتج أي توتر ولا أي ذروة ولا أي حدة في النقصان البسيط؛ بل تفتح على حالة من الخمول، الإنطفاء البطيء. يمثل المتشائم حالة مفارقة عضوية، حيث المتناقضات غير المحتملة تُولِّد تفاعلا عميقا. أليس هناك فعلا مفارقة في هذا المزيج من الانهيارات العصبية المتتالية

والحماسة المُلِحَّةِ؟ فتقضي الانهيارات على الحماسة وتُنهي الحيوية. لن نعرف كيف نقاوم هذه الانهيارات: غير أنّه من الممكن عدم الاهتمام بها بشكل مؤقت من خلال انشغالات مستمرة، أو من خلال الترفيه عن النفس. وحدها حيوية قلقة وقادرة على دعم المفارقة العضوية للسلبية. لا يصبح الفرد متشائما- متشائما شيطانيا، عنصريا، حيوانيا و عضويا - إلاًّ عندما تخسر الحياة معركتها اليائسة ضد الانهيارات العصبية. عندها سوف يبرز المصير للوعي كما لو أنّه نسخة لا يمكن ترميمها.

في مواجهة الصمت

أن نصل إلى الدرجة أن لا نُقَدّر غير الصمت، فذلك يعني تحقيق العبارة الجوهرية والتي مفادها العيش على هامش الحياة. لمديح الصمت عند كبار المنعزلين ومؤسسي الأديان جذور أعمق بكثير مما نتصور. لا بد أن يكون حضور الآخرين مثيرا للسخط وتُقززك تعقيدات المشاكل إلى درجة أنّك لن تهتم إلّا بالصمت وصراخاته داخلك لا بد من كل لإدراك هذه الحالة من الصمت .

يدفع التقزز بالمرء إلى حب لامحدود للصمت، لأنه يُجرِّد الكلمات من معانيها ليصنه منها جهورية الفراغ، تتشعشع التصورات، تنخفض قوة العبارات، تتراجع كلمة قيلت أو تم سماعها، لتصير عقيما. كلّ ما يذهب نحو الخارج أو يأتي منه يتحول إلى همس آحادي الوتر ومتنائي، عاجز على إيقاظ المنفعة أو التطفل. وسوف يبدو لك أنّه من غير المجدي إبداء رأيك، إتخاذ موقف أو التأثير على أي شخص؛ تنضاف الجلبة التي تخليت عنها اضطرابات روحك. في لحظة الحل القصوى، بعدما تكون قد أظهرت طاقة مجنونة لحلّ كل

المشاكل، ومجابهة دوخة المرتفعات، ستجد في الصمت الحقيقة الوحيدة، الشكل الوحيد للتعبير .

فن الازدواجية

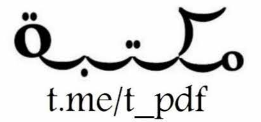
أن تكون عالما نفسانيا فنانا فهذا لا يُمكن تدريسه، إنما يُعاش ويُختبر، لأننا لن نعثر على أية نظرية توفر مفتاح العجائب النفسية. لا أحد في النهاية هو عالم نفس إن لم يكن هو نفسه موضوع دراسة، إن لم توفر مادته النفسية مشهدا أصيلا ومعقدا من شأنه ان يبعث على التطفل. لن يكون بالإمكان ولوج لغز الآخر إن لم نكن نملك لغزنا الذاتي الخاص بنا. ليكون الفرد عالما نفسانيا، عليه أن يعرف وبشكل كاف الشقاء ليفهم السعادة، ويتوفر على الكثير من الرقة ليصبح بربريا؛ يحتاج إلى يأس عميق جدا كي لا يستطيع أن يميز هل أنّه يعيش في الصحراء أو وسط اللهب مُتلوِّنا، جاذبا وفي نفس الوقت نابذا. ونشوتك عليها أن تكون جمالية، جنسية دينية ومنحرفة .

المعنى النفسي هو تعبير حياة تتأمل نفسها عند كل لحظة والتي في حيوات أخرى ترى عدة مرايا؛ بوصفه عالم نفس، فهو يعتبر بقية الناس قطعا من ذاته الخاصة. الاحتقار الذي يحسه كل عالم نفس نحو الآخر هو تهكم ذاتي مكتوم كما هو بلا حدود. لا أحد يُمارس علم

النفس عن حب: لكن من خلال رغبة سادية ليظهر عطالة الآخر، من خلال اطلاعه على عمقه الحميمي، وينزع عنه هالة لغزه الشخصي .

يُنهك هذا المسار بسرعة الإمكانات المحدودة للآخرين، وهكذا يضجر عالم النفس بسرعة من الناس: تعوزه الكثير من البساطة ليكون له أصدقاء، والكثير من اللاوعي ليتخذ له عشيقات. ولا عالم نفس، ينطلق من الشكوكية، لكنهم كلهم ينتهون عندها. تمثل هذه النهاية عقاب الطبيعة لمدنس الألغاز. لقد عرفوا الخيبة وزال عنهم الغرور لاعتمادهم السرية المطلقة وشيدوا القليل من الأوهام حول المعرفة .

تفتن المعرفة بجرعة قليلة؛ لكنها بجرعة قوية تُخيّب الأمل. كلما عرفنا أكثر،أردنا معرفة أقلَّ. فمن لم يتألم من المعرفة لم يعرف أي شيء .



لا معنى الصيرورة

كيف لا يمكن إحساس بطلان نمو الوقت ولا معنى الصيرورة، أثناء هدأة التأمل، حين يثقل عليك وزن الأبدية، حين تستمتع إلى دقات الساعة أو نبضات الثواني؟ ما الفائدة من الذهاب نحو الأبعد، ما الفائدة من الاستمرار؟ الكشف المباغت للزمن، تُكسبه تفوقا مُدَمِّرا لا يمتلكه في العادة، هو ثمرة التقزز من الحياة والعجز عن الاستمرارفي متابعة هذه الكوميديا. حين يحدث هذا الكشف خلال الليل. تتضاعف عبثية الساعات التي تمر إحساسا بالعزلة المدمرة، لأنّه - بعيدا عن العالم والناس - تجد نفسك وحدك في مواجهة الزمن، في صلة لا تُقْهرُ مع الازدواجية. في قلب التخلي الليلي، لم يعد الزمن مؤثثا لا بالأفعال ولا بالأشياء: يثير عدما متناميا، فراغا ممتلئا بالتمدد يبدو كما لو أنه خطر من المابعد. أثناء صمت التأمل يتردد صدى صوت مُحزن ومُلحّ شبيها بصنج في كون ميت. لا يعيش هذه الدراما إلا من فصل بين الوجود والزمن: هاربا من الأول، هاهو يقع منكسرا تحت الثاني. ويشعر بتقدم الوقت كما يتقدم الموت .

إميل سيوران

على مُرتفعات اليأس

ألَّفتُ هذا الكتاب سنة 1933 وعمري 22 سنة في مدينة سيبيو التي أحبها بترانسلفانيا. كنت وقتها قد أنهيت دراستي. وتظاهرت بالاشتغال على أطروحتي لمغالطة عائلتي، ولكن أيضا لمغالطتي. أعترف أنّ الرطانة الفلسفية في ذلك الوقت مازالت تُطرِي غروري وتجعلني أحتقر كل من يستعمل اللّغة العادية. غير أنّه سرعان ما حدث لي انقلاب داخلي في كلّ هذا، وضع حدًّا ودَمَّر كلَّ مشاريعي.

كان الأرق اللامنقطع هو الظاهرة الرئيسية، الكارثة بامتياز، هذا العدم من دون هدنة. كنت أتجوّل خلال ساعات وساعات في الأنهج الفارغة، أو، أحيانا في تلك الشوارع التي يلازمها المنعزلون المحترفون، رفاق مثاليون خلال لحظات القلق المستبد. الأرق صفاء مُدَوِّخ يجعل من الفردوس مكانا للتعذيب. كلّ شيء مُحَبَّب خلال هذا الأرق المستمر، خلال هذا الغياب المجرم للنسيان. في أثناء هذه الليالي الجهنمية أدركت بُطلان الفلسفة. ساعات الأرق في عمقها هي نَبْذٌ لا نهائي للتفكير بالتفكير، هي الوعي الساخط على نفسه، إعلان حرب، إنذار شيطاني من الذهن لنفسه. يمنعك المشي من تجنّب أسئلة بلا أجوبة وترديدها، بينما من الممكن على السرير أن نظلّ نجترُّ كلّ ما هو مُعَقَّد إلى درجة الدوار.


ISBN 978-603-91352-5-8

WWW.PAGE-7.COM